أسرار الحضارات القديمة







استكشاف أسرار الحضارات القديمة
على ضوء مكتشفات
العلم والتكنولوجيا الحديثة



أسرار الحضارات القديمة



أكاديميا هي العلامة التجارية لأكاديميا إنترناشيونال
للنشر والطباعة

أسرار الحضارات القديمة

أكاديميا انترناشيونال

الفرع العلمي من دار الكتاب العربي

ص.ب. 6669-113 بيروت، لبنان

هاتف 862905-800811-800832

فاكس 805478(1-961)

بريد إلكتروني academia@dm.net.lb

ACADEMIA is the Trade Mark of Academia International
for Publishing and Printing

Authorized translation from English Language Edition:
Mysteries of Lost Civilizations

Academia International

Scientific Division of Dar Al-Kitab Al-Arabi

P.O. Box 113-6669 Beirut, Lebanon

Tel 800832-800811-862905

Fax (961-1)805478

e-mail academia@dm.net.lb

أسرار الحضارات القديمة

تأليف: آن ميلارد

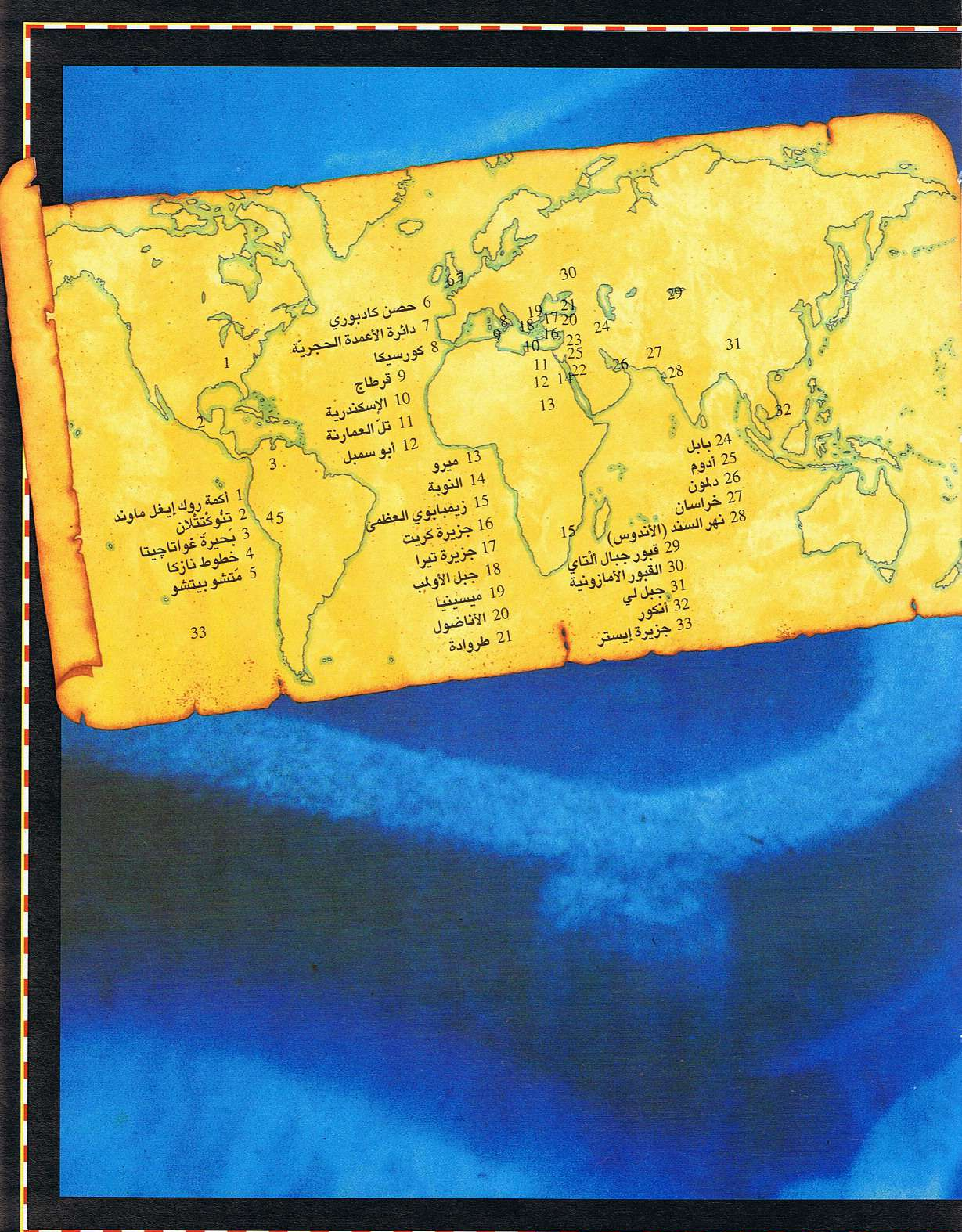
ترجمة: عمر الأيوبي





أكاديميا
بيروت - لبنان

المحتويات


1 أكمة روك إيغل ماوند
2 تنُوكْتتْلان
3 بحيرةَ غواتاچيتا
4 خطوط نازكا
5 مَتشو بيتشو
6 حصن كادبوري
7 دائرة الأعمدة الحجرية
8 كورسيكا
9 قرطاج
10 الإسكندرية
11 تلّ العمارنة
12 أبو سمبل
13 ميرو
14 النوبة
15 زيمبابوي العظمى
16 جزيرة كريت
17 جزيرة تيرا
18 جبل الأولمب
19 ميسينيا
20 الأناضول
21 طروادة
24 بابل
25 أدوم
26 دلمون
27 خراسان
28 نهر السند (الأندوس)
29 قبور جبال ألتاي
30 القبور الأمازونية
31 جبل لي
32 أنكور
33 جزيرة إيستر

مدخل إلى الأسرار

إن الكشْفَ عن أسرارِ الماضي ليس بالأمرِ السَّهْل. فكثير من الشعوبِ القديمةِ لم تَعْرفِ الكتابة، لذا طوى النِّسْيانُ أفكارَهَا وأعمالها. الدليل المُدَوَّنُ يُمكن أن يُنبئَنا بما كان الشَّعبُ يَدين، وماذا فعل، وما هو فكْرُه وكيف كانَ الآخرونَ يَنْظُرونَ إليه. لكن يجبُ توخِّي الحَذَرَ عند قراءةِ النُّصوص. فإذا كان السجلُ الوحيدُ المدوَّنُ عن حضارةٍ ما موضوعًا من قِبَلِ أعدائها، فهل يكونُ ما جاءَ به مُنْصِفًا؟

الزَّمَنُ هو العدوُّ الأبديُّ لعُلماءِ الآثار، إذ لا يَنْجو من التَّلفِ والدَّمارِ إلا القليلُ من الأجسامِ والأشياء. وهناك أشياءُ كثيرةٌ أخرى يمكن أن تدمِّرَ ما يقودُ إلى الكَشْفِ عَنِ الماضِي، مثْلُ الكوارثِ الطبيعيةِ والحروبِ والنِّزاعاتِ الدينيَّةِ والزِّراعة والعُمران، وحتى الخَدَمِ المُهْمِلين. وغالبًا ما تَنْجو هذه الأشْياءُ مُصادَفَةً. لذا، لإلقاء نظرة دقيقة على الماضي، يتعيَّنُ على عُلماءِ الآثارِ التحوَّلُ إلى رِجال مباحِث، يتفحَّصون المبانيَ والبقايا، ويدرسونَ النُّصوصَ ويفكِّرونَ فيما يمكنُ أنْ تُخْبِرَهم به الأساطير. كما أنَّ عليهم اللُّجوءَ إلى مساعدةِ أحْدَثِ التِّقْنياتِ العلميَّة.



«... بحث دمِّر
فيه عمدًا ما لم يُنقَلْ من أجل
زيادةِ الأرباحِ المرْجُوَّةِ
للمُضاربين الأوروبيين.»

عالِم الآثار سير و.م.
فلايندرز بتري، شاجبا
لصوص الكنوز
في أبيدوس بمصر، 1901-1902



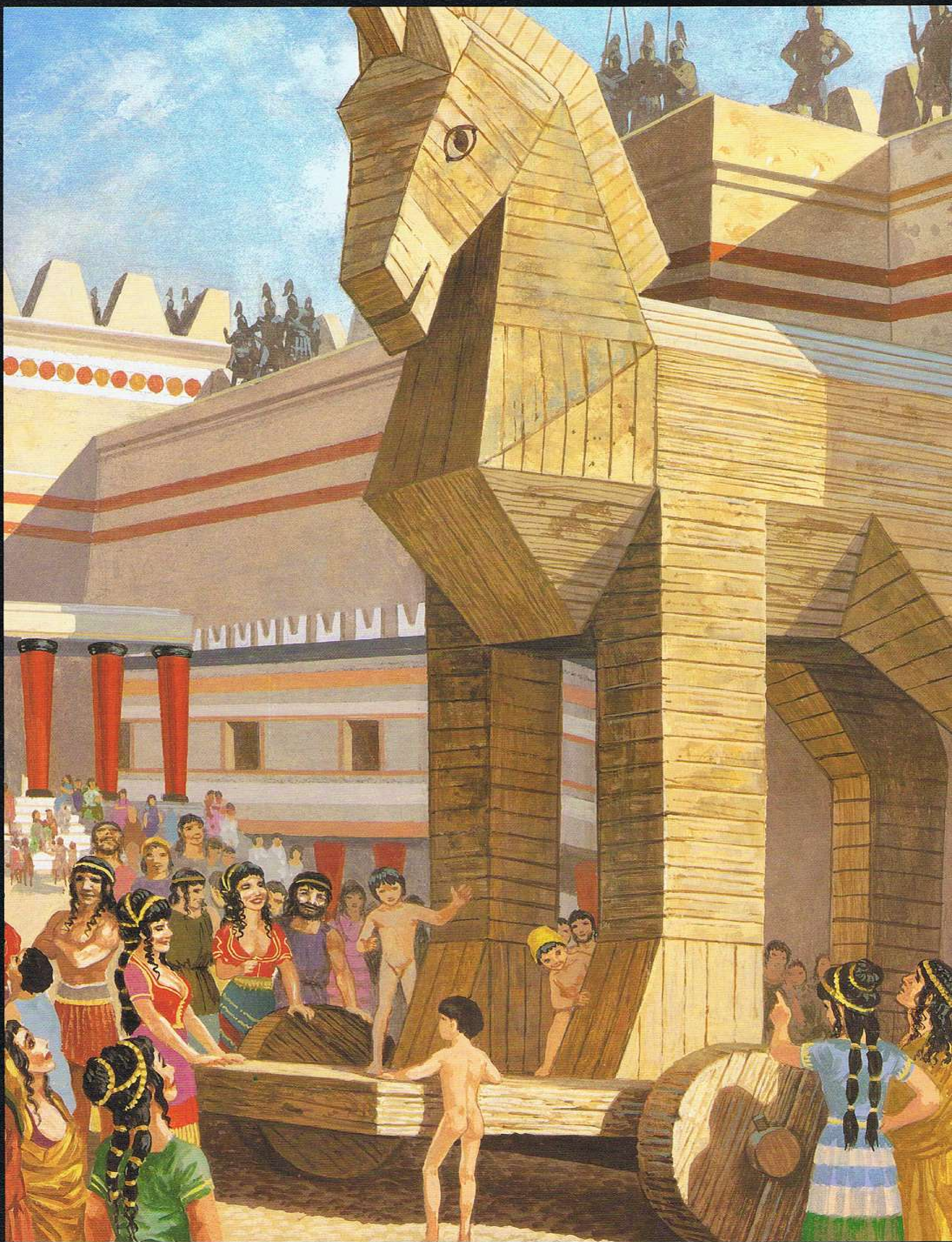
أماكن مختفية



بعض الأماكنِ يَحلُّ بها الخرابُ وتختفي دون أن تُخلِّفَ أثرًا تقريبًا، إلى أن يأتيَ عالِمُ آثارٍ ويَقْتفي آثارَها. وفي بعض الأحيانِ، لا يَرِدُ ذِكرٌ لمكانٍ إلا في نَصٍّ متأخِّرٍ جدًا فيُصرَفُ النَّظرُ عنه باعتبارِه أسْطورة.

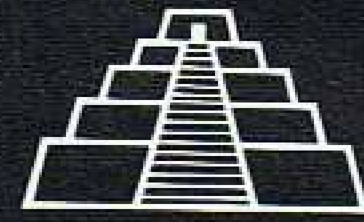
من الأمثلةِ الجيِّدةِ على ذلك حصارُ اليونانيين القدماء لطَرْوادة (تقع اليوم في تركيا). لقد اعتُبِرتِ الإلياذة (القرن الثامن قبل الميلاد)، وهي قصيدةُ هوميروسَ عن حرب طَرْوادة، ضربًا من الخيال. لكنَّ عالمَ آثارٍ هاويًا يدعى هنريش شليمان كان يعتقد أنَّها صحيحة. وفي سنة 1870، بدأتِ الحَفْريَّات في المنطقةِ التي حدَّدها هوميروس مكاناً لطَرْوادة وعُثِر عليها! لقد أثبتَتِ الحفريَّاتُ أنَّ هوميروس كان يعرفُ الكثيرَ عن حضارةٍ اندثرتْ قبل ولادَتهِ بعدَّةِ قرون. فقد حفظَتِ القِصَصُ والأغاني ذكرياتٍ حيَّةً عن تفاصيلَ مثلِ دفاعات المدينةِ وأسلحةِ الجُنود. لكننا لم نستطعْ بعدُ أن نُثبتَ أنَّ هلينا الطروادِيَّة كانت مَوْجودةً حقًّا، أو ما كانَتْ عليهِ طبيعَةُ الحصانِ الخشبي (يسار)، لكنَّنا تعلَّمنا ألا نَصرِفَ النَّظَرَ عن أساطير الماضي.

«هل كان هذا هو الوجهَ الذي أطلقَ ألف سفينةٍ وأحرقَ البُروجَ العاريةَ لِطروادة؟»
وصف لهلينا الطروادِيَّةِ في مسرحية كريستوفر مارلو «دكتور فاوسْت»، حوالي عام 1588



فُقدت ثم عُثر عليها

كثيرٌ من الصُّروح التي تحدَّثتْ عنها الكتاباتُ القديمةُ دُمِّرتِ اليومَ بشكلٍ تام، مثلِ القصر الذهبيِّ الرائع للإمبراطورِ الرُّومانيِّ نيرون. في بعضِ الأحيان نجد خرائبَ يمكنُنا التعرُّفُ إليها دونَ أدْنى شكّ، مثلَ مدينةِ بومباي بإيطاليا التي أزال معالمَها ثَوَرانٌ بُركانيّ. لكنَّ علماءَ الآثارِ قد يجدونَ صعوبةً في تخيُّلِ ما كان عليه الموقِعُ في أوْجِه، حتى لو كانَ بوسْعِهِمُ التعرُّفُ إليه والعثورُ على نصوصٍ قديمةٍ تَصِفُه. لقد ذكَرَ الكتَّابُ اليونانيونَ القُدَماءُ أن مَدْفَن أمِنَمْحَت الثالث، فرعونَ مصرَ، كان واحدًا من أبهى الصُّروحِ التي شاهدوها على الإطلاق؛ ولم يتبقَّ منه اليوم سوى أعمدةٍ كئيبةٍ من الطوب! لو كان لدينا صورةٌ لمثل هذا المكانِ لأمكننا تصوُّرَ ما كان عليه أيامَ مَجْدِه.

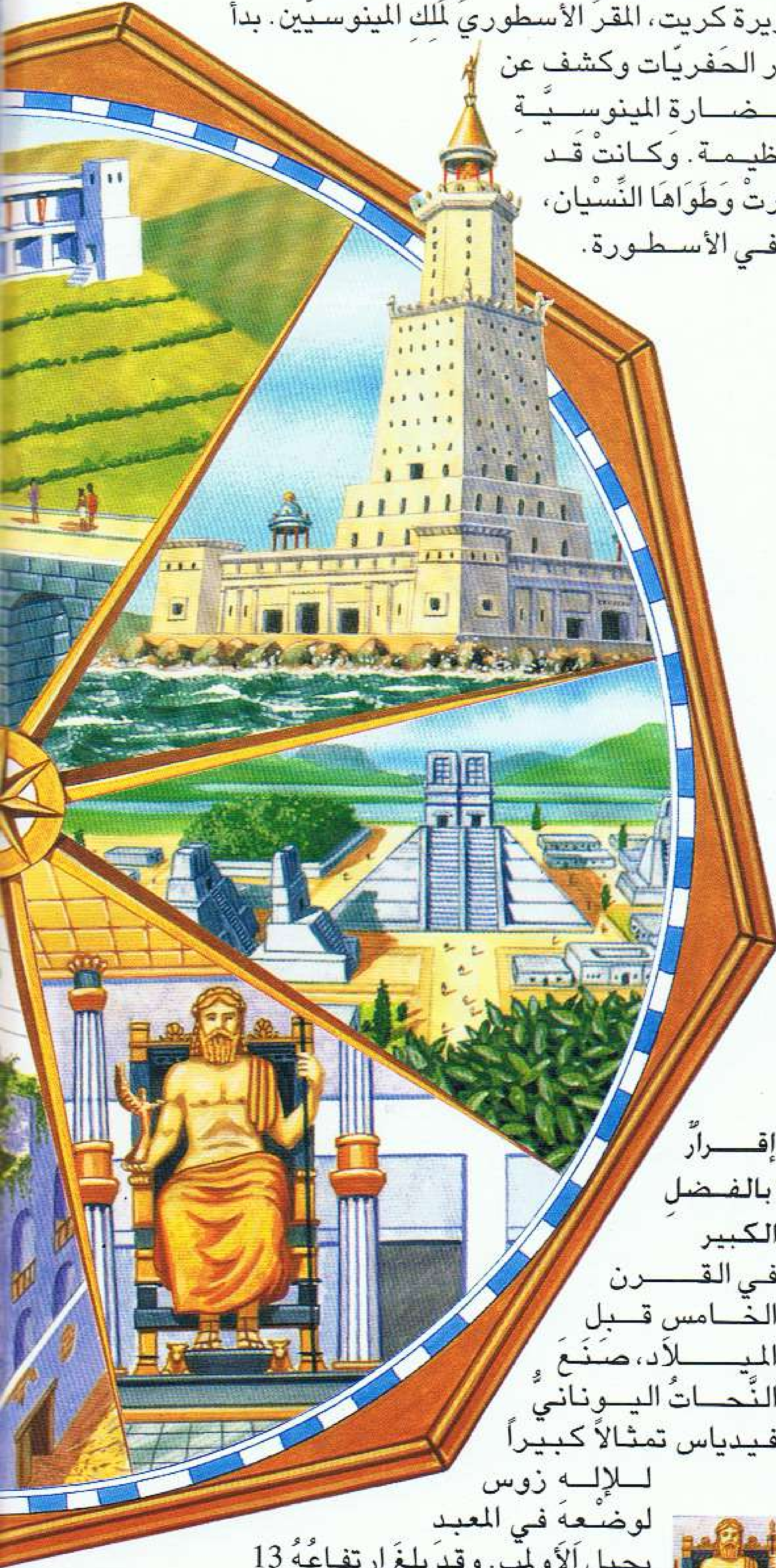


هل يُمكن أن يكونَ للدمار فوائد؟

في بعض الأحيان يمكن أن يُكْشَفَ عن كنوزٍ أخرى. ففي أثناء الحرب العالمية الثانية، دمّرتْ قُنبلةٌ كنيسةَ سانت برايد الأثريَّةَ في لندن. وقد وفَّرتْ هذا الحادثةُ الفرصةَ أمام عُلماء الآثار لحفرِ الموقع. فوجدوا كنائسَ أقدمَ تعودُ إلى ما قبل 1400 عام وطريقًا معبَّدةً رومانيةً من القرنِ الثاني الميلادي. وقد أعيدَ بناءُ كنيسةِ سانت برايد.

تعقُّب آثار ملك المينوسيين

في العـام 1893، عُـرِضَ على عـالمِ الآثار آرثر إيفانز بعضُ الأختـامِ الحجريَّةِ التي تغطّيها بعضُ الرسوم الغريبَة. وقد قامَ بتعقُّبِها إلى جزيرة كريت، المقرِّ الأسطوريِّ لملِكِ المينوسيّين. بدأ آرثر الحَفريّات وكشف عن الحضارة المينوسيَّة العظيمة. وكانتْ قد دُمِّرتْ وَطَوَاها النِّسْيان، إلا في الأسطورة.



إقرارٌ بالفضلِ الكبير

في القرن الخامس قبل الميلاد، صَنَعَ النَّحاتُ اليونانيُّ فيدياس تمثالاً كبيراً للإله زوس لوضْعِه في المعبد بجبل الأولمب. وقد بلغَ ارتفاعُهُ 13 مترًا وكان مصنوعًا من الذهبِ والعاج. وفي العام 393 ميلادية، نقلَهُ إمبراطورٌ رومانيٌّ إلى القسْطَنْطينية، لكن النارَ الْتَهمت المكانَ الذي حُفِظَ فيه في العام 462 ب.م، ما دمَّره بشَكل تامّ.



ألغاز الطاولة المستديرة



في أسطورة من القرون الوسطى، كانت كاميلوت مَقرَّ الملك آرثر. ولو أنها كانت موجودةً لما كانتْ تُشبهُ أبدًا قلاعَ أفلام هوليود! ولعلها كانت حصْنًا سلتيًا جبليًا قديمًا، أعادَ القائدُ العسكريُّ الإنكليزيُّ احتلاله - مكانٌ من المَتاريس الرمليَّة والأسوار الخشبيَّة. وقد عَثَرَ علماءُ الآثار على مثل هذا الموقع في حصن كادبوري فورت، بإنكلترا، ويعتقدُ بعضُ الأشخاص أنَّه قد يكون كاميلوت.

ضوء البحر الأبيض المتوسط



بُنيتْ منارةُ الإسكندريةِ نحو سنة 280 ق.م، وبلَغَ ارتفاعُها 117 مترًا. وكان شعاعُ ضوئها يُرى من مسافة 50 كلم. وقد دمَّرَها زلزالٌ في القرنِ الرابعَ عَشَرَ، لكن لا يزال لدينا وصفٌ وصورٌ لها. وتمَّ العثورُ على أجزاء منها في الميناء.

سرٌّ هندي

كشفتْ حَفريّات قام بها سير مورتمر ويلر (1890-1976) عن مصنوعاتٍ يدويَّةٍ (أدناه) وأختامٍ حجريَّةٍ (يسار) وأبنيةٍ تعودُ إلى حضارةِ وادي السِّند في الهند. ابتكرتْ هذه الحضارةُ نظامَ كتابَةٍ خاصٍّ بها، لكن لم يتمكَّنْ أحدٌ من حَلِّ رموزِهِ بعد. هل نتمكَّنُ يومًا من معرفَةِ حكامِها، أو غايةِ الحمَّامِ الاحتفاليِّ العظيم فيها، أو مُعْتقداتِها الدينيَّة.



جنائن الأسطورة

بُنيت الجنائنُ المعلَّقةُ في بابل لملكة من البلاد الجبلية شعرت بالحنين إلى وطنها في سهول بابل. وقد دُمِّرت تدميرًا شاملاً لدرجة أننا لا نستطيع التعرّفَ إلى أسُسِها. وهناك عدَّةُ نظريّات عمّا كانت تبدو عليه!



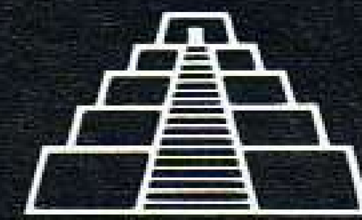
آثار الحرب



غالبًا ما يحاولُ الفاتحون طَمْسَ كل الآثار التي تدلُّ على ثقافَة أعدائهم. وكان ذلك مصيرُ شعوب الأزتيك والإنكا على أيدي المستكشفينَ الإسبانِ في القرنِ السادسَ عشر. فقد دُمِّرتْ عاصمةُ الأزتيك التي تدعى تِنوكْتِتْلان. ولا تزالُ أطلالُها موجودةً تحت مدينة مكسيكو الحَديثة.

مـــــادّة الأســـــاطيـــر

عندما يحدُثُ شيءٌ مثيرٌ حقاً، يتناقلُ الناسُ قصّتَه. وتتغيَّرُ هذه القصَّةُ بمرورِ الزّمنِ ما لم تُكتبْ على الفوْر. فتُهْمَلُ بعضُ التفاصيل، وتضافُ تفاصيلُ أخرى؛ ويمكنُ أن تُنسَبَ أعمالُ شخصَيْن أو أكثرَ إلى بطلٍ خارقٍ واحد. ومع مرورِ الزّمنِ، يَنْسى الناسُ بعضَ الأشياءِ أو ما كانتْ تعنيه، لذا فإنهم يخْتلقونَ تفسيراتٍ غالبًا ما تكون خاطئة! وقد تُعْطى قصةٌ معنًى جديدًا بحيث تتلاءَمُ مع سياسةِ العصْرِ ومعتقداته. لكن يبْقى هناك في كل قِصَّةٍ بعضُ الحقيقةِ الدَّفينة.



هل يُمكنُ أن تقودَنا النصوصُ حقًّا إلى أماكنَ مفقودة؟

تشيرُ نصوصُ بلاد ما بينَ النَّهرين القديمة إلى مكانٍ يُدعى دلمون، وتُعطيه أوْصافًا عجيبةً دفَعتِ الباحثينَ، حتى عَهْدٍ قريب، إلى اعتبارِها من نَسْجِ الخيال. وقد أظهرَتْ دراساتٌ للنصوصِ القديمةِ والأطلالِ أنها كانت محطَّةً للتّجارَةِ بينَ سومرَ والسِّند. وعندما توقَّفَتْ هذه التجارة، دَخَلَتْ دلْمون في غياهبِ النِّسيان - وما دِلمون في الواقعِ إلا جزيرةَ البحرَينِ في أيامنا هذه.

الحاكمُ الذهبيّ

عندما تسلَّمَ أحدُ الملوكِ العرشَ في منطقةِ بُحيرةِ غواتافيتا بكولومبيا، غُطّيَ بالتِّبْرِ ثم أبْحَرَ إلى وَسَطِ البُحيْرَة، حيث ألقى عَطايا من الذَّهبِ للآلهة. وقد زيّنَ الخيالُ والجَشعُ القصَّةَ، فانتشرَتْ رواياتٌ عن مدينةٍ وأرْضٍ مكوَّنَةٍ من الذَّهَب. وقد بحثَ النَّاسُ عن الإلدورادو، وأُزْهِقَتْ أرواحٌ كثيرةٌ في سبيلِ ذلك. وحاولَ آخرونَ تجفيفَ البُحيْرة، لكنهم فشلوا.

ثَورانٌ ودمار

كانت جزيرةُ تيرا (سانتوريني اليوم)، الواقعةُ على بعد 120 كلم شماليّ كريت، مركزًا للثقافةِ المينوسيّة. وفي العام 1450 ق.م تقريبًا، حدثَ ثَورانٌ بركانيٌّ دمَّرَ معظمَ الجزيرة، وأدّى أيضًا إلى حدوثِ موجةٍ مدِّيّةٍ خَرَّبَتِ المستوطناتِ المينوسيَّةَ في شماليِّ كريت.



مادّة الأساطير

كتَبَ الكاتبُ اليونانيُّ أفلاطون (أعلاه) عن أطْلَنْطس، وهي جزيرةٌ مفقودةٌ غرقتْ تحت الموْجِ أثناء كارثةٍ رهيبة. وقد احتدمَ الجَدَلُ منذ ذلك الوقت. هل اختلقَ أفلاطون الرِّواية؟ هل كانتِ الرِّوايةُ تَستَنِدُ إلى تيرا وكريت؟ أم هل هي مكانٌ مفقودٌ آخر؟ لقد كانت الرِّواية تجري على الألْسُنِ لأكثرَ من 200 عامٍ قبل أن يَسمعَ أفلاطونُ بها، وتلك فترةٌ طويلةٌ تتيحُ تسلُّلَ الكثيرِ من الأخطاءِ إلى القصَّة!





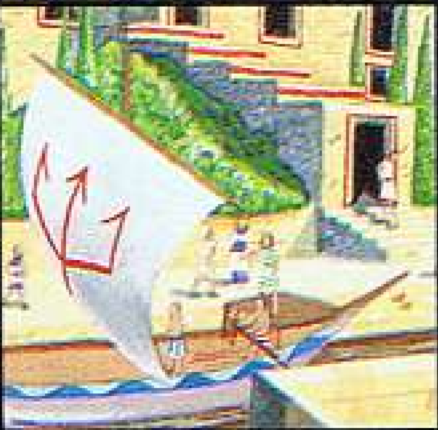
الفاتحون!

كان الفاتحونَ الإسبانُ الأوائلُ لأميركا مدفوعين برغبة خدمة الله (بتحويلِ السكان الأصليين إلى المسيحيَّة) ومَلِكهم (بضمّ أراضٍ جديدة إلى مُلْكه). لكنَّهم كانوا أيضاً جَشعينَ لا يعرِفونَ الرَّحمة، همُّهُم تحقيقُ الثروة من ذَهَبِ وفضَّةِ العالم الجديد. وقد سَمِعوا في كولومبيا بالقصَّةِ الرائعةِ والحقيقيَّةِ عن الإلدورادو ـ الرجُلِ الذهَبيّ (انظر ص 13).



مناجمُ الملك سُلَيْمان

شرَعَ بعضُ الناسِ يبحثونَ عن أشياءَ ذُكِرَتْ في التَّوْراة، مثلِ تابوتِ عَهْدِ الرَّب وكنوزِ هَيْكَلِ القدس وفُلْكِ نوحٍ، وكثيرٍ غيرِها. وبَحَثَ آخرونَ عن أماكِنَ ومَوَاقِع. وقد استحوذتْ مناجمُ المَلِكِ سليمانَ على خيالِ الكثيرين وأوْحَتْ بأفلامٍ ورِوَايات. وعندما تمَّ العثورُ على أنقاضِ زِمْبابوي العظمى (أدناه) في إفريقيا، اقترَحَ البَعضُ أنها هي المناجمُ الشهيرة. لكن زمبابوي تعود إلى إمبراطوريةٍ إفريقيَّةٍ متأخِّرَةٍ زمنيًّا. وهكذا بقيتْ مناجمُ سليمان عَصيَّةً على الفَهْم.



البحث النهائي

بحثَ الناسُ في العالم أجمعَ عن أطْلَنْطس (انظر ص 13)، لكنَّ الكثيرين يعتقدونَ اليومَ أن القصَّةَ من وحْيِ كريت في عَهْدِ المينوسيين (انظر ص 11). فذكرى هذه الجزيرة العظيمة ذاتِ الأسطولِ القويّ، وأهميَّةُ الثيرانِ في معتقداتها الدينيَّة وانهيارُها الفجائيُّ اختلطَ بالكوارثِ الطبيعيَّةِ والخُرافات. فتشوَّشت القصصُ وأُسيءَ فهمُها مع مرورِ الزمن، لكن يبدو أنَّ بعضَ الرِّواياتِ تحتوي بالفعلِ على صدًى للحضارةِ المينوسيَّةِ العظيمة.

ثقافات مندثرة



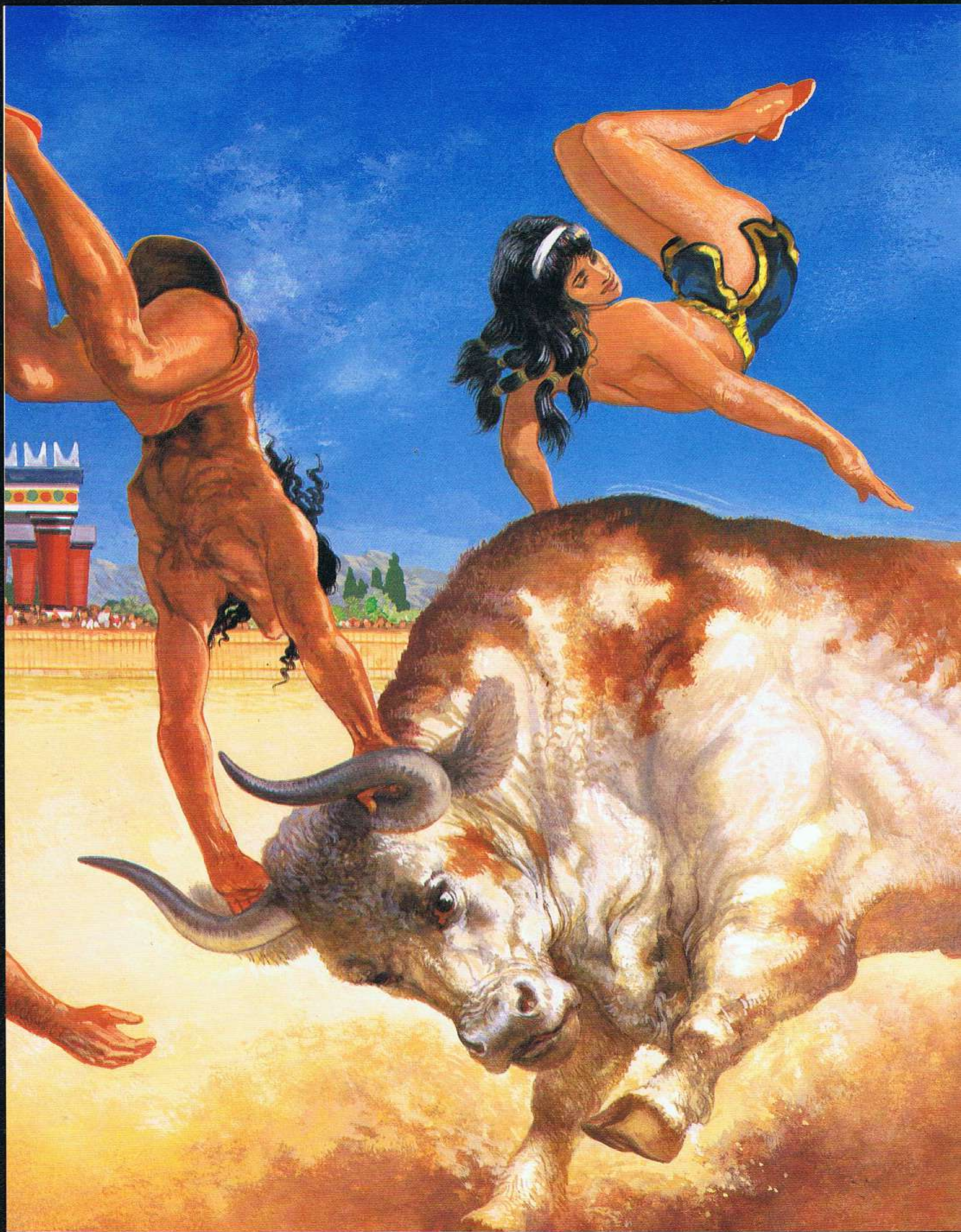
تتغيَّر الثقافات بمرورِ الزَّمَن. ويُمكننا تتبُّعُ تطوّراتِ حضاراتٍ قديمة، مثلِ مصرَ والصين، على مدى آلافِ السنين، ويمكنُنا أن نعرفَ كيف تطوَّرتِ الحياةُ في أوروبا منذ سقوطِ الإمبراطوريَّةِ الرومانيَّةِ سنة 476 ب.م. لقد تغيَّرتْ أساليبُ عَيْشِ الشُّعوب، لكنَّنا نستطيع تتبُّعَ عناصرَ من الماضي إلى الحاضر.

هناك أشياءُ تبقى وتتشرَّبُها حضارةٌ جديدة، حتى لو بدا أن ثقافةً ما قد اندَثرت. فقد تَبْقى ذكرياتٌ من الثقافاتِ المفقودةِ حيَّةً في النصوصِ أو في الأساطير. ثمَّ يأتي يومٌ قد يعثُرُ فيه علماءُ الآثارِ على أدلَّةٍ قويّة.

غالبًا ما يَكْتَشِفُ علماءُ الآثارِ مفاجآتٍ أثناء اسْتكشافِ ثقافاتٍ مفقودة. فبعضُ الأشخاصِ لا يزالونَ يَسْتَصْعِبُونَ تقبُّلَ قيامِ الشبَّانِ المينوسيين (يسار) بالقفزِ من فوقِ قرونِ الثيرانِ الهائجة، ومع ذلك توجد صورٌ وتماثيلُ تُثبِتُها. هل كانوا يُخاطرون بحياتِهِم على ذلك النَّحوِ لإرضاءِ الآلهة. لعلَّهم كانوا يعتقدون أن الآلهة تضربُ أرضهمْ بالزَّلازلِ كما ينطحُ الثَّورُ الرياضيينَ بقرونه.

«... يُسلِّطُ علماءُ الآثارِ الضَّوْءَ على جُملةٍ من الأشياءِ التي تُوضحُ فنونَ الماضي وحِرَفَه، والمعابِدَ التي كان الناسُ فيها يُصلُّون، والبيوتَ التي كانوا فيها يقيمون، والبيئةَ التي كانوا فيها يعيشون.»

سير ليونارد وولي "Digging up the Past"، 1940



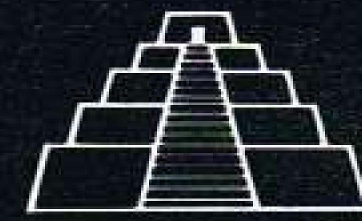
الانحــــــدار والدَّمــــار والمــوت

تعـرَّضتْ بعضُ الثـقـافـات المزدَهِرَةِ إلى الدَّمار السريع والتامِّ، لكن نادراً ما كان ذلك يحـدُثُ بشكل جذريّ. فـفي العـادة، تتـضـافَرُ عـدةُ عـواملَ ويكون الانحدارُ طويلاً وبطيئًا نحو النهاية. قد تتـسـبب سنواتٌ من الطقس السَّـيِّىء بحدوث مـجـاعـة، وقـد تفـقـدُ الأرْضُ خصوبَتَها إذا أنهكها الاستعمالُ المُفرط، وقد تَنْفَدُ مواردُ الخشبِ إذا قَطَعَ الناسُ الأشجارَ دونَ أن يُعيدوا زرعَها. وربما يغيِّرُ نهرٌ حيويٌّ مسارَه أو يُسَدُّ ميناءٌ بالطَّمْي. وقـد تحـدثُ زلازلُ وفيضاناتٌ وكوارثُ طبيعيَّةٌ أخرى. وقـد تضطَرِبُ تجـارَةٌ أو تحـدُث حـروبٌ وغَزَوات. وربما يهاجرُ شعبُ المجتَمعِ المتدهْوِرِ أو يقرِّرُ تبنّي أساليب جيرانِهِ الأكثر نجاحًا.



أساطير من المايا

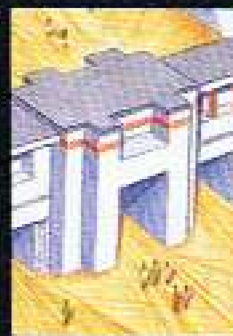
كان يُعتقدُ أنَّ المايا شعبٌ محبٌّ للسلام. لكنَّ علماءَ الآثارِ أخذوا يكشفونَ غوامضَ كتابتِهم واتَّضح أنَّ الدُّوَلَ المدينيَّةَ المتنافسةَ كانت تتقاتلُ فيما بينها باستمرارٍ سعيًا وراءَ السلطة. وقد ساهم الإفراطُ في الزراعـة في سقوطهم، فَضْلاً عن هذه الحروب.



كيف تتحوَّل الثقافاتُ إلى أساطير؟

يحدثُ ذلك بتشويهِ الحقيقةِ على مرِّ الزمن. مثالُ ذلك، كان هناك مجموعةٌ من الشعوبِ البحرية (انظر ص 17) تُدعى الفلسْط. بعـد هزيمَـتِـهِـم أمـامَ المصريين، تراجعوا واستقرُّوا في الأرضِ التي حَملَتْ اسْمَهُم، أي فلسْطين. وقد وَرَدَ ذكرُهُم في التَّوْراةِ على أنهم أعداءُ اليهودِ الرئيسيّون.

مدينة آتون



اعتَقَدَ أخْناتونُ، أحدُ ملوكِ مصر، أن آتون هو الإلهُ الأوْحَد. فبنى عاصمةً جديدةً في تلِّ العَمارنة ومنع عبادةَ الآلهةِ الأخرى. وبعد وفاته تُركَتْ العمارنةُ طُعمةً لرمالِ الصَّحراء.

نُذُر الكارثة



أحدثَ ظهورُ مذنَّب متَّقد في أوائل القرن السادسَ عَشَرَ رُعْبًا عند الأزتِّيك في أميركا الوُسطى. هل كان ذلك علامةً على غضب آلهتهم منهم؟ وفي السنين العَشْر التي تلتْ، وقعَتْ كثيرٌ من الحوادث الغريبة، حتى ظنَّ الأزتيكُ أنهم هالكون. وقد كان ظنُّهم في محلِّه، فقد وصلَ الإسبان (اُنظر ص 12).

وَقْفَةُ الإنْكا الأخيرة

في العام 1911، انطلقَ المُستَكْشِفُ حيرام بِنْغام نحو جبال الأنديز، مزوَّداً بنصوص تتحدَّثُ عن مُدُن قاتَلَ فيها آخِرُ شُعوبِ الإنكا الإسبان. وقد عثر على مَتشو بيتشو، وهي مدينة للإنكا أخفتها الأدغالُ مدَّةَ 300 سنة.

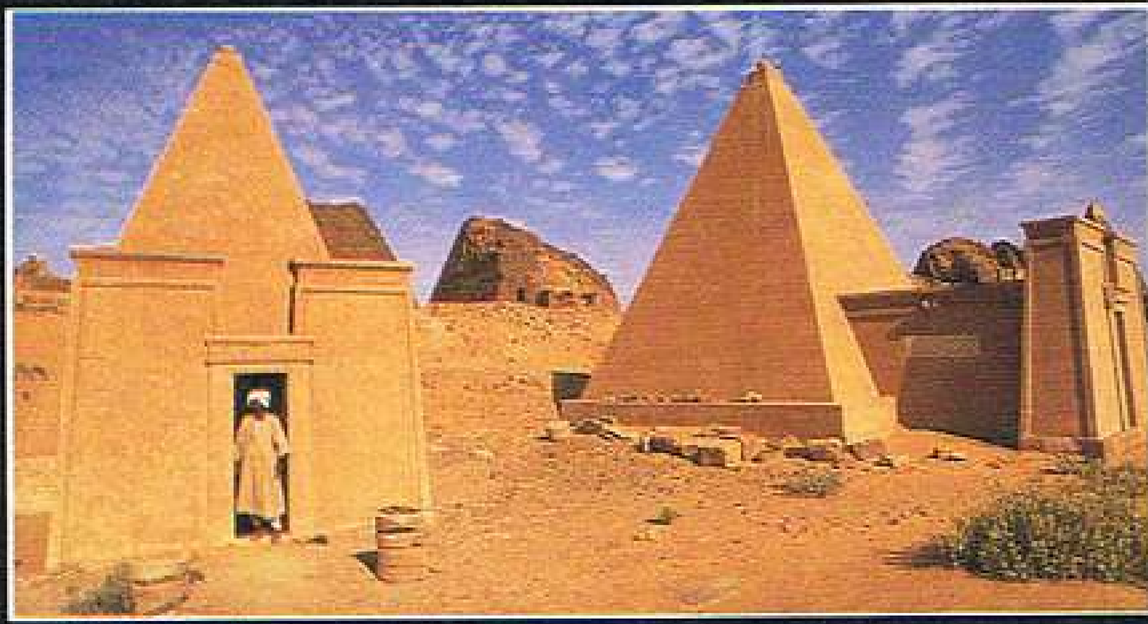


الميسينيون الغامضون

بعد سقوط المينوسيين، سيْطرَ الميسينيون على التجارة في البَحْرِ المتوسِّط. وقد كانُوا أغْنياءَ وناجحين، لكنَّهم سقطوا أيضاً. وبحلول العام 1000 ق.م، كانت حضارَتُهُم ومصنوعاتُهم اليدويّة (أعلاه) ونظامُ كتابتهم قد اخْتَفَت. ولم يَعُدْ لهم ولأبطالهم، مثلِ أغَممْنون، ذكْرٌ إلا في الأساطير.



ثقافة متقدِّمة



ازدهرتْ دولةُ ميرو في الفترةِ الممتدَّةِ بين 550 ق.م و 350 ب.م، وكان لها تجارةٌ معَ مصرَ وإفريقيا واليونانِ وروما والهند. وكانتْ ثقافتُها مزيجًا من الطرق المحلية والطرق الخاصة بمصرَ وغَيْرِها من الدُّوَل (مثل القبورِ الهَرَميَّة لملوكها، أدناه). وكان المزارعونَ في ميرو يزرعون القُطْنَ الذي يُستوردُ من الهند. وكان المعدِّنون يشتغلون بالحديد، وقد انتشرت أساليبُهُم في إفريقيا. ويدَّعي أحدُ النصوصِ أن ميرو كانت غنيةً جدًا، لدرجة أن المساجين كانوا يقيَّدون بسلاسلَ ذهبيَّة! وقد أدَّتْ هجماتُ الشُّعوبِ الأخرى إلى انحدارِها، لكنَّها سقطتْ بعد غزوِ ملكِ الأكْسوم في شرق إفريقيا.

غزاةٌ قدموا من البحر



تصفُ نصوصٌ مصريةٌ قديمة غَزَوات قامَتْ بها شعوبٌ بحريَّةٌ غامضة. وقد قدم هؤلاء من الإمبراطورية الميسينيَّة بحثًا عن مواطنَ جديدة. وحوالي سنة 1190 ق.م، غَزَوْا ما يُعرفُ اليوم بتركيا، فقضَوْا على الحثيين (انظر ص 18). وقد هزمهم رمسيس III، فرْعَوْنُ مصْر، في نهاية الأمر، وتفرقوا في شتى أنحاء البحر المتوسط.

مـن كـــــــانـوا؟

اللغةُ هي أحدُ الأدلَّةِ على هويَّةِ شعبٍ من الشُّعوبِ، إلى جانبِ الآثارِ العمرانيَّة والمَصْنوعاتِ اليدويّة. ومن اللغاتِ القديمة جدًا اللغةُ الهنديةُ الأوروبيةُ الأمّ. تفرّقَتِ المجموعاتُ التي كانتْ تتحدَّثُ هذه اللغةَ بمرورِ الزّمن. وانتقلتْ عبرَ أوروبا إلى الشرقِ الأوسطِ، ثمَّ إلى الهندِ وتُركِسْتان. وقد غيَّرتْ كلُّ مجموعةٍ لُغَتَها كثيرًا، لدرجة أنها لن تكونَ قادرةً على التواصُلِ فيما بينها لو التقتْ. وتضمّ هذه العائلةُ من اللُّغات (تُسمَّى اليوم الهنديَّةَ الأوروبية أو الهندوأوروبية) كلَّ اللغاتِ الأوروبيّةِ تقريبًا والروسيَّةَ والأوكرانيَّةَ والأرمنيّةَ والإيرانيَّةَ ومعظمَ لغاتِ الهندِ وباكستانَ، فضلاً عن كثيرٍ من اللغات القديمة.



مفتاحٌ لشعب مفقود

في السبعينات ظهرتْ قطعٌ غريبةٌ في سوق التُّحف القديمة. تفحَّصَ الباحثونَ هذه القطع واكتشفوا ثقافةً جديدةً كانَتْ قد ازدَهَرَتْ في خُراسان ما بين 2500 و1500 ق.م. وكان الخُراسانيُّون تجّارًا أغنياءَ يُسيطرون على الطريق البريّةِ بين نهرِ السِّندِ وبلادِ ما بينَ النهرَيْن.



فتوحات الحثّيين

بحلول العام 200 ق.م. وصلَ الحثيون إلى الأناضولِ قادمين من شمالِ البحرِ الأسود. وقد أسّسوا تدريجيًا إمبراطوريةً وابتكروا نظامًا للكتابة (أدناه). وكانوا في البداية أعداءَ المصريين، لكنّهم توصّلوا إلى اتفاقٍ معهم بعد ذلك. وقد قضتْ عليهمُ الشعوبُ البحريّة (انظر ص 17).





غزاةٌ قساةٌ... أم مُستَوْطنونَ مُسالمون؟

ساد اعتقادٌ طَوالَ عدةِ قرونٍ بأن الفايكنغ كانوا قراصنَة، ويرجعُ ذلك إلى أن ضحاياهُم هم الذين دوَّنوا سجلاتِ أعمالهم. وقد كان بعضُهم كذلك، لكنَّ معظَمَهُمْ كانوا مزارعين وحرفيّينَ ماهرين. وكان بعضُهم تُجَّارًا جسورينَ بَلَغوا البحرَ المتوسّطَ في أسفارِهم. وكان بينَهم أيضاً مستكشفونَ شُجعان أنشأوا مُستعمرات في روسيا وأيْسلندا وغرينلند وأميركا الشماليّة.





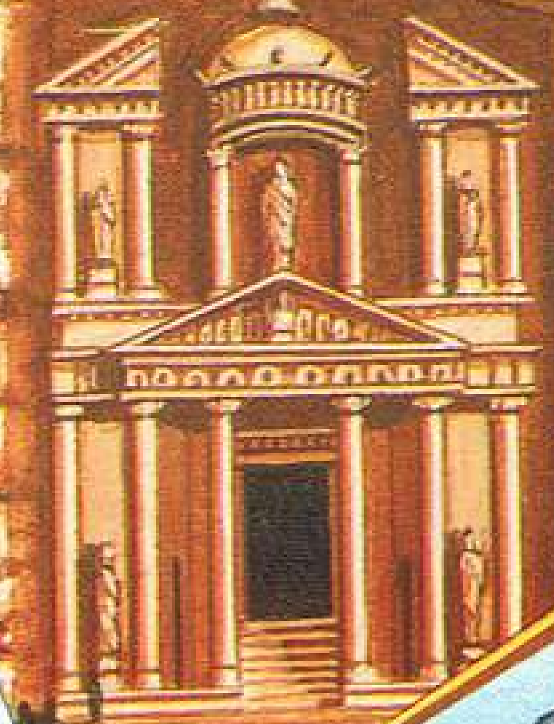
المينوسيون الأوائل

وصلَ أسلافُ المينوسيين إلى جزيرة كريت نحو العامِ 6000 ق.م، ولعلَّهم قَدِمُوا من الأناضول. وقد تتبَّعَ علماءُ الآثار تطوُّرَهم من مُزارِعين بسطاء إلى مجتمعٍ تجاريٍّ عظيم. وقد ابتكروا نظامًا خاصًّا بهم للكتابة فدعوه الخطيَّ أ، لكن لا يستطيع أحدٌ قراءتَهُ حتى الآن. ويمكن قراءةُ الخطيِّ ب، وهو كتابةُ الميسنيين المتأخِّرين (انظر ص 16)، لأنه أحد أشكال اليونانية المبكِّرة، وهي من اللغات الهندية الأوروبية.

المدينة الوردية

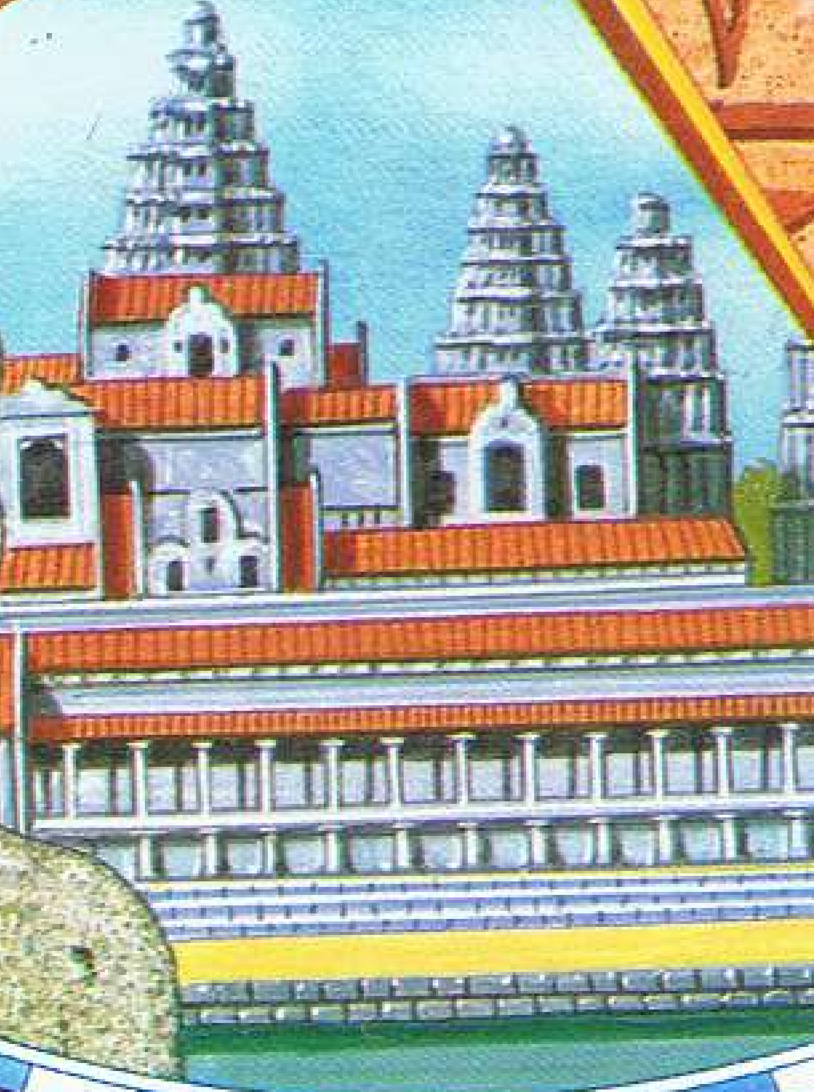


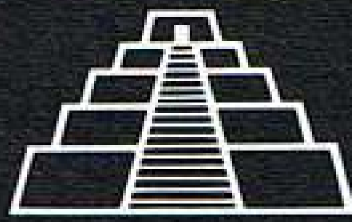
في القرنِ الرابعِ قبل الميلاد، أنشأت قبيلةُ الأنْباط العربيةُ مملكةً في المنطقةِ التي كانت تُدعَى أدوم. وقد تحكَّموا بطرقِ التجارة من الجزيرة العربيةِ والبحرِ الأحمرِ إلى البحرِ المتوسِّطِ، وهكذا صارتْ مملكةً غنيةً وقويّة. وقد بُنِيت عاصمتُهُم العظيمة بترا من حجارةٍ ورديَّة، وكانت تحيطُ بها الجروفُ الصَّخريَّة. وكان مدخلُها شقًّا ضيِّقًا في الصخور، في حين نُحتتْ معابدُها ومدافنُها في الصخور. وقد خَضَعَتْ لحكم الرومان في العام 106 ب.م، وانهارتْ بشكل تدريجيّ.









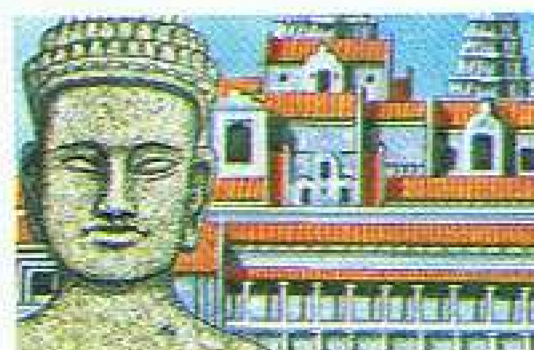


ما هي أقدم الأبجديات؟

ابتكرَ الفينيقيونَ كتابةً بسيطةً نحو العام 1300 ق.م. وكانتْ أولى الأبجديّات. وبعد اختفاء النظامِ الخطيِّ ب للمسّينّيين بثلاثمئة عام، تبنَّى اليونانيونَ الأبجديةَ الفينيقيَّةَ لإنشاء أبجديتهم. وكان الحرفُ O الحرفَ الوحيدَ الذي لم يغيِّروه، وهو أقدمُ الحروفِ المكتوبةِ على الإطلاق.

عجائب أنكور المفقودة

وسَّع الخميرُ في كمْبُودْيا إمبراطوريَّتَهم بعد العام 800 ب.م، وبنَوْا معبدًا عظيمًا في أنكور وات وعاصمةً في أنكور توم. لكن التايلنديينَ هزموهُم في أوائلِ القرنِ الخامسَ عشرَ، وفُقدتْ عماراتهم في الأدغال. وقد عَثَر عليها هنري موهوت مصادفةً في العام 1860.

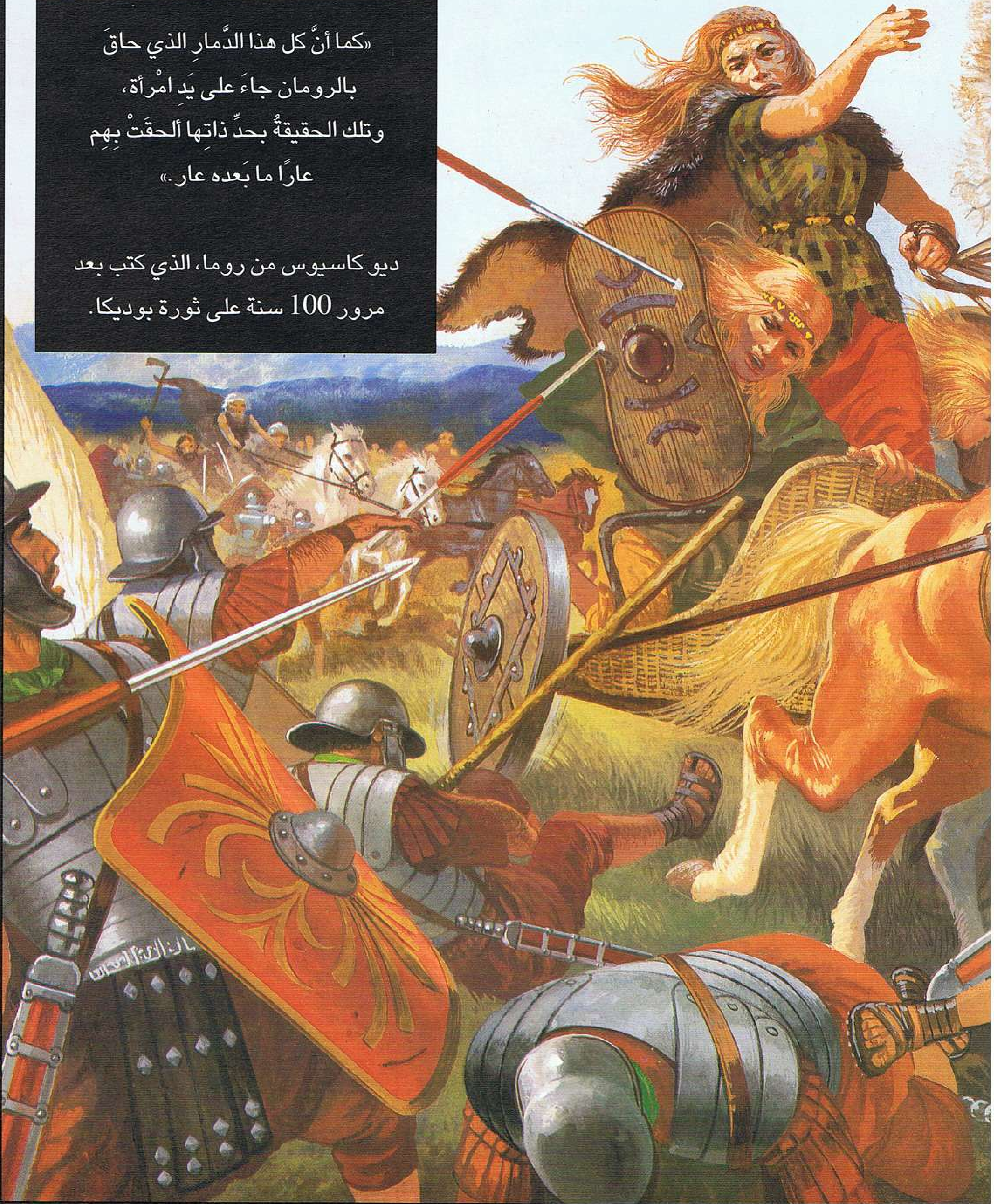


شعب مفقود



قد يدوِّنُ مجتمعٌ ما أعمالَ رجالِه ونسائِه العظام، لكن النُّصوصَ يُمكنُ أن تُفْقَدَ أو تَتْلَفَ بمرورِ الزمن. ولذلك فإن ما نعرِفُهُ عنهم محدود، لكنَّ ثمَّةَ أملاً دائمًا بأن تتوصَّلَ الحفريات إلى العثورِ على مزيدٍ من النصوص.

إذا كانتِ الرواياتُ القليلةُ لحدثٍ ما مكتوبةً من قِبَلِ جانبٍ واحدٍ فقط، فإنَّها تكونُ مُنْحازةً على الأرْجح. وما الثورةُ البريطانية سنة 60-61، التي قادتْها الملكة بوديكا من قبيلة إيسنتي، إلا مثالٌ جيِّدٌ على ذلك. فقد قُتِلَ آلافُ الجنودِ الرومان ودُمِّرَت قرى مهمةٌ وكادت روما تفْقِدُ سَيْطرتَها على الأرْض الجديدة. لكنَّ الرومانَ انْتَصَرُوا في النِّهايَةِ وكتبوا عن صراعِ القانونِ والنظامِ والحضارَةِ ضدَّ الجَهْلِ والهَمَجيَّة. وقد صُوِّرتْ بوديكا والبريطانيونَ الذينَ قَضَوْا على أنَّهم برابرةٌ مُتَوحِّشون. ولو أن قبيلة الإيسنتي احتفظت بسجلاتٍ تاريخيَّة، لكانتْ وصفَتْ كفاحَها البطوليَّ لإخراجِ الغُزاةِ المحتلِّينَ الذين لا يستحقونَ أن يعاملوا بشرَفٍ ورأفةٍ بسببِ الجرائمِ التي اقْتَرفُوها ومُعاملَتِهِمُ الوَحشيَّةِ للمَلِكة بوديكا.



«كما أنَّ كل هذا الدَّمارِ الذي حاقَ بالرومان جاءَ على يَدِ امْرأة، وتلك الحقيقةُ بحدِّ ذاتِها ألحقَتْ بِهِم عارًا ما بَعده عار.»

ديو كاسيوس من روما، الذي كتب بعد مرور 100 سنة على ثورة بوديكا.

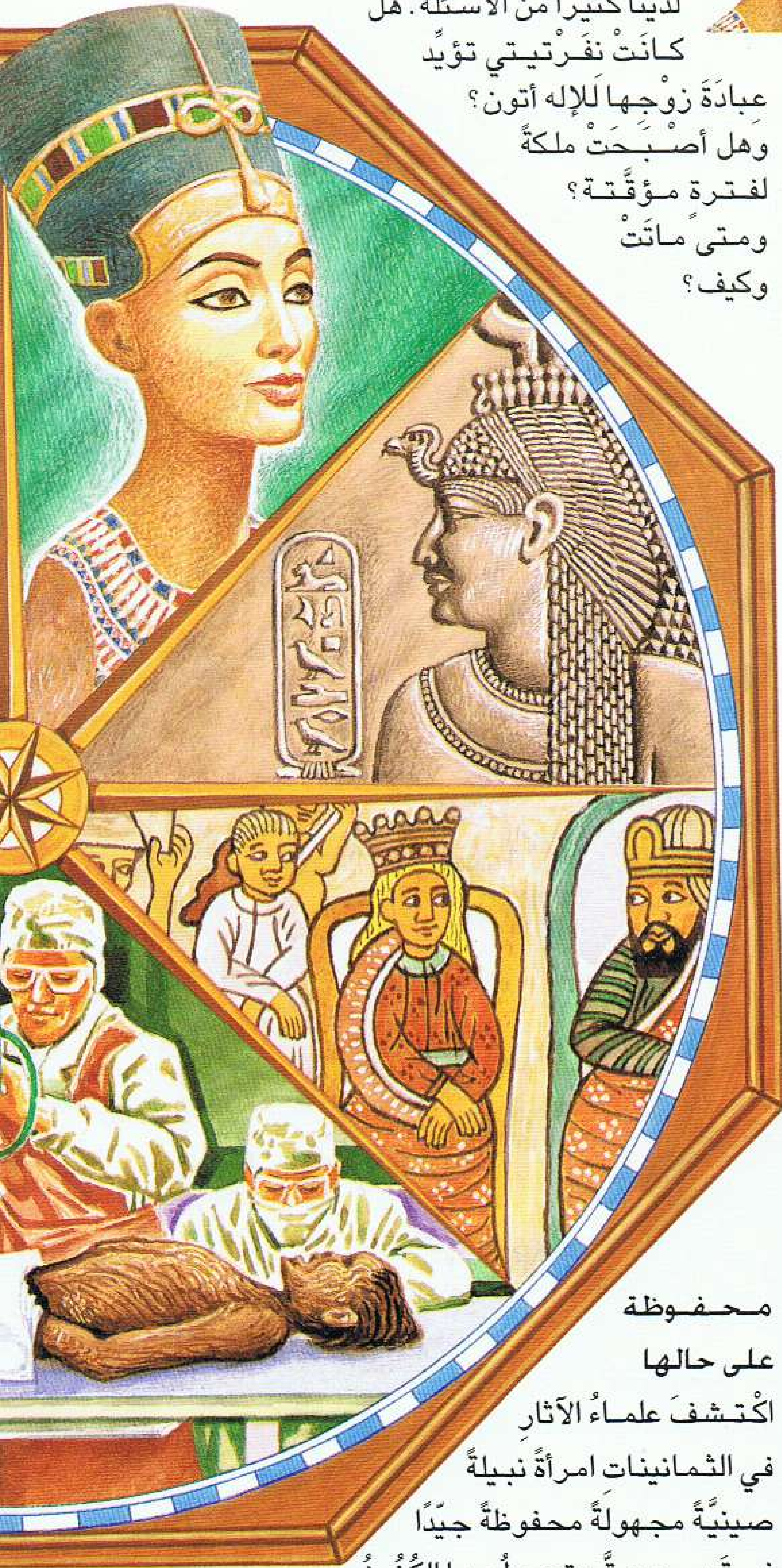
نســــاء مَنْســـيّـــات

إنَّ معرفَتَنا عنِ النِّساءِ في التاريخِ مَحْدودة. ويرجِعُ ذلك إلى دمارِ السجلاتِ التاريخيةِ من جهة، وإلى أن المجتمعاتِ كان يحكُمُها رجالٌ يعتقِدُون أنَّ النِّساءَ قليلو الأهميَّة، ولذلك حَرَموهُنَّ الحقوقَ أو السُّلطة خارِجَ المَنْزِل، من جِهةٍ أخرى. فإذا تعرَّضَ مجتمعٌ يسودُهُ الرِّجالُ إلى تهديدٍ منِ امْرأة، بَذَلَ كُتَّابُه ما بوسْعِهِمْ لتشْويهِ اسْمِها. ونجِدُ كثيرًا من النِّساء المفقودات في النصوصِ التاريخيَّةِ والحفْريّات، لكن علينا أن نتوخّى الحَذَرَ الشديدَ لكي لا نَنْخدِعَ بآراء كاتِبي تلكَ النُّصوص.



الملكة الغامضة

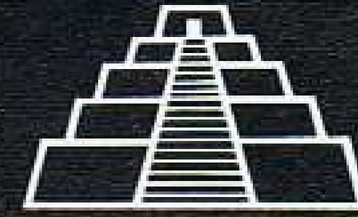
كانت نفَرْتيتي زَوْجَةَ أَخْناتون (انظر ص 17). وبعد وفاتِهما، حاوَلَ أعْداؤُهما تدميرَ كلِّ السجلاتِ التارِيخيَّة عن ثورَتِهما الدينيّة، ما ولَّد لدينا كثيرًا من الأسْئِلة. هل كانَتْ نفَرْتيتي تؤيِّد عبادَةَ زوْجِها لِلإله أتون؟ وهل أصْبَحَتْ ملكةً لفترة مؤقَّتة؟ ومتى ماتَتْ وكيف؟



محفوظة على حالها

اكْتشفَ علماءُ الآثارِ في الثمانينات امرأةً نبيلةً صينيَّةً مجهولةً محفوظةً جيّدًا في قَبرٍ معقَّدٍ تحيطُ بها الكُنُوزُ ويَلُفُّها حريرٌ جميل. وقد كشفَتِ التقْنيَّاتُ الطبيَّةُ الحديثةُ المَرَضَ الذي كانَتْ تعاني مِنه وكيفَ قضَتْ ساعاتِها الأخيرة.





كيف ماتت الملكة بوديكا؟

بعد أن هُزِمَت الملكةُ بوديكا، سنة 62 ميلادية، قرَّرَتِ الانتحارَ على أن يأخُذَها الرومانُ أسيرة. وتقولُ الرِّواياتُ التاريخيَّةُ أنَّ قبيلة الإيسنتي أقامت لها قبرًا مُنيفًا، لكن لم يُعرَفْ مكانه. وتدّعي عدةُ أماكنَ في بريطانيا شَرَفَ كوْنِها المكانَ الذي ترقُدُ فيه الملكة. وتقولُ إحدى النَّظريّاتِ إنّها تَرقُد تحت المنصّةِ الثامنَة في محطة كنْغز كروس للسِّكَكِ الحديديَّةِ بلندن! فهل يُحلُّ هذا اللُّغز يَوْمًا ما؟

ملكٌ مختلف

كان للنِّساء مَنْزِلةٌ كبيرةٌ في مصرَ القديمة، لكنّ الرِّجال وحْدَهُم كان لهم حقُّ المُلْك. وقد تمكنَّتْ بضْعُ نساء من الالتفاف على هذا القانون. فقد زَعَمتْ الملكةُ حتْشبْسوت أن الإله آمون اختارَها للحكم، فحكمَتْ كأنها فرعَوْن. وبعد وفاتِها، قام ابنُ أخيها بتدمير تماثِيلها لإزالة كلِّ أثرٍ لها. ويقوم اليومَ عُلماءُ الآثارِ بإفشالِ ما قام به بجَمْعِ الأجزاءِ معًا من جديد.



أشْهَرُ ملكة في التاريخ



إن معلوماتنا عن الملكةِ كليوباترا مُسْتَقاةٌ أساسًا من السِّجلاتِ الرومانيّة. فقد أخافَتِ الرومانَ بزواجِها من مارك أنْطونيو ومساعَدتِه في صراعه ضدَّ أوكتافيوس (صار لاحقاً الإمبراطور أغسطس). لقد كانَتْ حاكِمةً صالحة، لكن الرومانَ وصفوها بأنّها تافِهة.

أسطورة سبأ



تُخبرُنا التَّوْراةُ كيفَ عَرفَت الملكةُ سَبَأ عن حِكْمة الملك سُلَيْمان وقامَتْ بزيارَتِه. لقد كانَتْ مملكةُ سَبَأ غنيَّةً بتجارتِها، ولعلها عَقدت اتِّفاقًا تجاريًا مع الملكِ سُلَيْمان.

فضيحة في روما

تقولُ الأسْطورَةُ إنَّ امرأةً شابَّةً تنكَّرت في هَيْئةِ رجُلٍ وَانْتُخِبَتْ رأسًا للكنيسةِ الكاثوليكيَّة (بابا)! وقد تلَقَّبتْ باسم البابا جوان. ولعلَّ القِصَّةَ بَرزَتْ لأن القرْنَ العاشر شَهِدَ بَعْضَ البابواتِ الشّديدي الضّعف. وقد تَمَتَّعَتْ أمٌّ وابْنَتُها تُدعيان تيودورا وماروزيا بنفوذٍ واسعٍ لدى العديدِ منْهم، بل إنهما كانَتا تقرِّران من يَكونُ البابا الجديد.



دَفعُ الثَّمن

أنْشأت زنوبيا، ملكةُ تَدْمُرَ بسوريا، إمبراطوريةً لها باسْتيلائها على المقاطعات الشرقيَّة من الإمبراطوريةِ الرومانية. وعندما هُزمَتْ في نهايةِ الأمْر، حاولَ الرومانُ إذلالَها بدَفْعها إلى المسيرِ في مَوكبِ النَّصرِ أمام الإمبراطور - لكنها كانت من ضَحكَ أخيرًا. فقد تزوَّجَتْ شيخًا رومانيًا وصارَتْ سيِّدَةَ مُجْتَمعٍ.



شعب الأسطورة

لكلّ بلدٍ وثقافةٍ أساطير. ونكونُ أحيانًا مشدودين إلى الاستِشْهادِ بأسْطورَةٍ عنْ مسألَةٍ تاريخيَّة، لكن يجب علينا أنْ نتوخّى الحَذَرَ الشَّديدَ عِنْدَ اللُّجوءِ إلى الأساطير. رُبما تكونُ الأُسْطورةُ مُسْتَنِدَةً إلى أحْداثٍ حقيقيَّة، ولكن لا يتّضحُ دائمًا أيُّ الأجزاءِ صحيح، وأيها يستَنِدُ إلى وقائعَ لكنَّه حُرِّف، وأيُّها إضافاتٌ جَرَتْ في وقت لاحِق. ومن المثير حقًّا أن يجدَ عُلماءُ الآثارِ عندما يقومونَ بدراسةِ نصٍّ أو حَفْرِ موقعٍ شيئًا يتَّفِق مع أسطورَةٍ ما أو يُفسِّرُها. لكنهم لا يسْعَوْنَ في الواقع إلى إثباتِ أن أسطورَةً ما صحيحة.

وحش المتاهة

تقولُ الأسطورةُ إنَّ المينوطورَ مخلوقٌ نِصْفُهُ ثور ونصْفُهُ الآخر إنسان. وقد عاش في مَتاهة كنوسوس بجزيرةِ كريت، وكانَ يأكُلُ لحم البَشَر. كيف بدأت القصَّة؟ هل أساءَ شعْبٌ متأخِّر فَهْمَ رقْصَةِ الثَّور؟ ولعل ملوكَ المينوسيين كانوا يَلْبَسونَ أقنعة ثيران من أجْلِ طقوس دينيَّة وأوحت هذه العادة بالأسْطورة.

ملك خالد

كان شارْلمان (742-814) حاكمُ الفرانكيين (فرنسا وألمانيا في الوقت الحاضر) رجلاً مُدْهشًا، فقد كان قائدًا عسكريًّا وفاتحاً وراعيًا للفنون. وظلَّت ذكرياتُ عهده سائدةً في أوروبا سنينَ طويلةً بعد وفاته. وسُرْعانَ ما أخَذَ المغنُّون المتجوِّلون يبالغون في منْجَزاته لتعظيم ذِكْره. وهكذا صارَ الغاسكونيُّونَ الذين قاتَلهم من المُسلمين، لأن المُسْلِمين كانوا ألدَّ أعداءِ أوروبا في ذلك الوقت. بل لقد قيل إنّه لم يمت وسوف يعود إلى الحكْمِ في يوم من الأيام.



التنقُّلُ في الوادي



يُعتبَرُ روبِنْ هود البَطَلَ الشَّعْبيَّ الأكْثَرَ شُهْرَةً في إنْكلترا... لكنْ تُرى مَنْ يكون؟ فَقَدْ عَدَّلَ الكُتَّابُ والشُّعَراءُ هُويَّتَهُ على مَرِّ السِّنين لكي تتوافَقَ مع أفكارِهم في كلِّ فَتْرَة، فَتحوَّلَ من فلاَّحٍ إلى نَبيل!

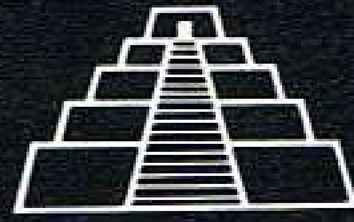


هل كانَ رُوبن هود رجُلاً واحِدًا، أو هل نُسِبَتْ أعمالُ عدّةِ خارجِينَ على القانونِ إلى رَجُلٍ واحد؟ تقولُ الأسطورَةُ إنَّ روبن كان مُعاصرًا لِعَهْدِ الملك ريتْشارد (1189-1199)، لكنَّ السِّجِلاتِ تشيرُ إلى أنَّ خارجًا على القانونِ يُدعى روبن هُود كانَ يعيشُ في فترة لاحِقَة. فهل استَخْدَمَ اسمَ الذي سبقَهُ، أم كان هو هودَ الحقيقيَّ؟

تضحية رهيبة

تقولُ الأسطورَةُ إنَّ الملكة بُوكو وشَعْبَها هَربوا طَلَبًا للنَّجاة، عندما استَعَرَتِ الحربُ الأهليَّةُ في إفريقيا الغربيَّةِ في القرنِ الثامنَ عشرَ. لكنَّ رِحْلَتَهُمْ توقَّفَتْ عندما وَصَلُوا إلى نَهْرٍ واسعٍ سَريعِ الجرَيان. وقد طَلَبَتِ الآلهةُ التَّضْحيةَ بِطفْلٍ من أجل العبورِ الآمِن. فَقرَّبَتْ بوكو طِفلَها بدلاً من اختيارِ طفلٍ لسواها.





هل تمْتزِجُ الأُسْطورَةُ والواقع؟

غالبًا ما تختلِطُ الخُرافَةُ بالواقعِ أثناءَ تناقُلِ القِصَّةِ على مَرِّ مئاتِ السِّنين. مثال ذلك، تقولُ الأسْطورَةُ إنَّ كونت مقاطعة أنجو بفرنسا الْتَقَى فَتاةً جميلةً في إحْدى الغابات تدعى ميلوسين. فوقَعَ في غرامِها وتزوَّجَها وعاشا سعيدَيْن، إلى أن اكْتَشفَ أنها بِنْتُ الشَّيْطان! ويُقالُ إن ذُرِّيَّةَ ميلوسين تضم ملوكَ إنكلترا البلانتاغنتيِّين (1154-1399)، أسلافَ العائلة الملكيَّة البريطانيَّة الحاليَّة.

نساءٌ مُحارِبات

روَى الكتَّابُ الإغريقُ قِصَّةَ الأبطالِ السّينيِّينَ الذين حارَبُوا الأمازونيَّات، وهنَّ قبيلةٌ من النِّساء نزَلَتْ فيما يُعرفُ اليوم بروسيا.



وقد أنْكَرَ الباحثُونَ هذه القصَص، لكنَّ عُلماءَ الآثار اكْتَشفوا قُبورَ قبيلة بدويَّة في رُوسْيا. وكانَتْ قبورُ بعضِ النِّساءِ تَحتوي على أسْلحةٍ ودروعٍ ترجِعُ إلى زَمَنِ الأمازونيَّاتِ الصحيح.

ألغازُ الطاولة المستديرة

من كانَ الملكُ آرْثَر الحقيقيّ؟ توحي النُّصوصُ القديمة أنّه بريطانيٌّ رومانيٌّ قاتلَ الساكسونيين. وقد جاءَت تفاصيلُ مثلُ السيفِ إكسْكَلبر وفُرْسانه والطّاولةِ المستديرة لاحقاً. عندما انْتَصرَ الساكسونيون، هَرَبَ بَعضُ البريطانيينَ إلى ويلز، حيثُ أعادَ الشُّعراءُ نَسْجَ القِصَّة. وأضافَ إليها المغنُّونَ المتجوِّلون في القرونِ الوسطى وشُعراءُ القرنِ الخامسَ عشرَ وكُتَّابُ العصرِ الفكتوريّ من نَسْجِ خيالهم ما أضافوا، فَنَشأتِ الأسْطورَةُ الحاليّة.



أشــيــاء غــامــضــة



إذا نظرْنَا إلى الدَّمارِ الذي يُسبِّبُهُ الزمَنُ والطَّبيعةُ والبَشر، نَدْهَش مِن عددِ المباني والنصوصِ والأشياءِ التي بقيَتْ موجودة! لكنَّ هذه لا تشكِّلُ إلا جزءًا يسيرًا من أمجادِ الحضاراتِ القديمة. ولا يُدمَّرُ الموقعُ ويطويه النِّسْيانُ تمامًا إلا إذا لم يكنْ له ذكرٌ في النُّصوص.

تذكرُ النُّصوصُ أماكنَ كثيرة، لكنَّنا لا نعرفُ أينَ تَقَع. ويُكتَشَفُ بَعْضُها بعد أبحاثٍ وتحرِّياتٍ متأنِّية. وفي بعضِ الأحيان نَعْرف مكان المدينة، لكن يَصْعُب الوصولُ إليها، مثل بقايا مدينة بُومْباي في إيطاليا. لقد دمَّرَ الرومانُ مدينَةَ قرطاج، في شمال إفريقيا، لكنَّ علماءَ الآثارِ أخذوا، بفَضْلِ الحفرياتِ المتأنِّية، يكشِفونَ النِّقابَ عنِ المدينَةِ العظيمةِ المنافسةِ لروما ويتعرَّفون إلى ما كان عليه ميناؤها الرائِع وأحواضُهُ (يسار).

هناك أشْخاصٌ لا يستطيعونَ مقاوَمَةَ التحدّي! وهم يواصلونَ البَحْثَ عن أشياءَ وأماكنَ يعتقدُ مُعظَمُ الباحثينَ أنَّها لم تعُدْ موجودَة، مثلِ فُلكِ نوح وتابوتِ عَهْدِ الربّ.

«التاريخُ يقفُ إلى جانِبنا، سواءٌ أحْبَبْتُم ذلك أو كرِهْتُموه. وسوفَ نقومُ بِدَفْنِكم.»

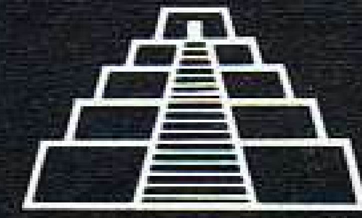
نِكيتا خروتشوف، رئيس الاتحاد السوفياتي سابقًا، في كلمته أمام السفراء الغربيين، 1956



الكتب المفقودة

من المؤسِفِ أن تُتلفَ الكتبُ والمعلوماتُ الحيويَّةُ التي تحتوي عليها عَرَضًا. ومن المُشين أنْ يُعْبَثَ بها لكي تتوافَقَ مع الأفكارِ السّائدة في حينِه. وقد عَمَد كثيرٌ منَ الحكّامِ إلى تدميرِ النصوص لمحْوِ ذكرى أعدائِهم أو حَرْقِ الكُتُبِ لوقفِ انْتِشارِ أفكارٍ غيرِ مَقبولَة.

ومن أسْعَدِ اللحظاتِ عند عالمِ الآثارِ اكْتِشافُ نصٍّ يحتوي على معلوماتٍ تاريخيةٍ حيوية. ومن هذه الاكتشافات بَرديَّةُ تورين التي تَضُمُّ لائحة كاملة بملوك مصر. وقد تضرَّرتْ ورقةُ البرديِّ كثيرًا أثناءَ النقلِ، ولا يزال الخبراءُ يحاولونَ ترميمَها لإعادتِها إلى ما كانتْ عليه.



هل أثَّرت الكتابات القديمة في حياتنا؟

إننا ندينُ بالكثيرِ لحكمةِ الماضي التي وصلتْنا عبْرَ الإغريقِ والرومان. لقد ابتَكَرَ المصْريّونَ التقويمَ المكوَّنَ من 365 يومًا وقسَّموا اليومَ إلى 24 ساعة. واستخدم البابليونَ نظامَ أعداد يستندُ إلى القاعدة 60، ومنه حَصَلْنا على 360 درجةً في الدائرة، و 60 دقيقةً في الساعةِ و 60 ثانيةً في الدقيقة.

أفكار ميتة

في سنة 221 ق.م، صار زِنْغ، حاكمُ مقاطعةِ كِن، أوَّل أمبراطورٍ للصين. عندما سمع أن بعض العلماء ينْتقدونَه، أمر بإحراق كلّ الكتب، القديمة والحديثة، التي يمكنُ أن تُستخدمَ ضدَّه. وفي وقت لاحق، أمر بإعدامِ 460 عالمًا.

الحوّاريّ المجهول

في الأيامِ الأولى للمسيحية، كان يوجدُ كثيرٌ من الجماعاتِ المسيحيَّةِ المختلفَة. كان الغنوسطيُّون يزعمون أن لديهم معرفةً سرِّيَّةً، لذا عَمَدَت الكنيسةُ إلى إتلاف كتاباتِهم. وقد خبَّأ أحد الغنوسطيين كُتُبَهُ في نجعِ حمادي بمصر، واكتَشفَهَا فلاحٌ قبْلَ عدَّةِ سنوات.

فقدان تاريخ طويل



كان الأزتيكُ والمايا يغطّونَ لفائفَ لحاء الأشجارِ أو جلدِ الغزالِ بصورٍ عن ماضيهم. وقد أحرقَ الإسبانُ معظمَها، لكن كان عليهم أن يصنَعُوا أخرى، مخطوطة مَندُوزا، لملِكِهم تُصوِّر حياةَ الأزتيك اليومية.

مخطوطات البحر الميّت

في سنة 1947، عَثَرَ راعٍ صغيرٌ على كهفٍ بقُمران، على شواطىءِ البحرِ الميّت. وقد كان يحتوي على بعض المخطوطاتِ القديمة الغريبة. وفي السنين القليلةِ التالية، اكْتُشفتْ كهوفٌ ومخطوطاتٌ أخرى. وقد أعاقتِ المنافسةُ العلميَّةُ والسياسيَّةُ والدينيَّةُ دراسةَ هذه النُّصوص، لكنها أخذتْ تُصبح مُتاحةً اليوم. تحتوي المخطوطاتُ على نصوصٍ تَوْراتِيَّةٍ عن التَّوْراةِ والتقاويم والترانيم. وترجعُ إلى القرون الأولى الميلاديَّة وقبل الميلاد. ولعلَّها خُبِّئت أثناء الثورتين اليهوديَّتَيْن في سنتي 66 و 132 ميلادية لحِفظها بعيدًا عن الرومان. وهي تُخبرُنا عن الحياةِ الدينيَّةِ قبل ميلادِ المسيح، وتُعتبرُ مهمَّةً جدًّا عند اليهودِ والمسيحيين والمسلمينَ على حدٍّ سواء.



سجلّات مفقودة

كانت مكتبة الإسْكَندريَّة تضم نحو 500000 كتاب، وكان الباحثون يتوافدونَ من كل حَدْبٍ وصَوْبٍ لقراءتها. وقد أُحْرِق قسمٌ منْها أثناء حملة القَيْصَرِ في مصر (48 ق.م). ودُمِّر ما تبقّى منها في سبعيناتِ القرن الثالث. فكِّر في كلِّ المعلوماتِ التاريخيّةِ التي فقدناها.



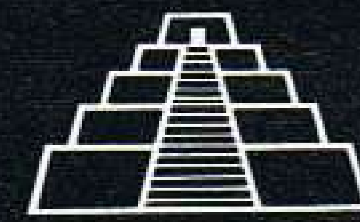
كلمات حكيمة

باعَتْ إحدى العرّافاتِ ثلاثةَ كُتبٍ ألَّفَتها إلى الملك تاركوينيوس الروماني. وقيل إن نُبوءات العرّافَةِ كانتْ دقيقةً جدًا ويُرجَعُ إليها طلبًا للمَشورَةِ في الأوْقاتِ الحرجة. وقد أتْلفها حريق سنة 83 ق.م، لذا لن نعْرِف مقدارَ دقَّتها.



لماذا صنعت؟

كانَ النَّاسُ فيما مَضَى لا يألونَ جُهْدًا من أجْلِ صناعة الأشْياء وبنائها، باذلين الكثير من الوقت والطاقة (عندما كان متوسط الأعمار أقصر مما هو عليه اليوم). ما الذي جَعَل صيَّادي العصْرِ الحَجَرِيِّ، الذين كانوا بحاجة إلى استخدام كلِّ طاقتهِمْ من أجلِ البقاء، يَدخُلونَ إلى أعماقِ الكهوفِ لإنتاجِ عجائب مثل مصوَّرات لاسكو (انظر ص 32-33)؛ من الصَّعْبِ في الغالبِ التوصُّلُ إلى سببِ صناعةِ الأشْياء وكيفيَّتها. مثالُ ذلك، لا يزالُ بعض النَّاسِ لا يميلونَ إلى الاعتقادِ بأن الجُهْدَ العظيمَ الذي بُذل لبناء أهراماتِ مصرَ كان لمجردِ استخدامِها كقبور. فعندما نفتقِرُ إلى النُّصوص، ولا يتوفَّرُ لدينا إلا الأشياءُ القديمةُ أو آثارُها، تزدادُ صُعوبةُ تفسيرِها.



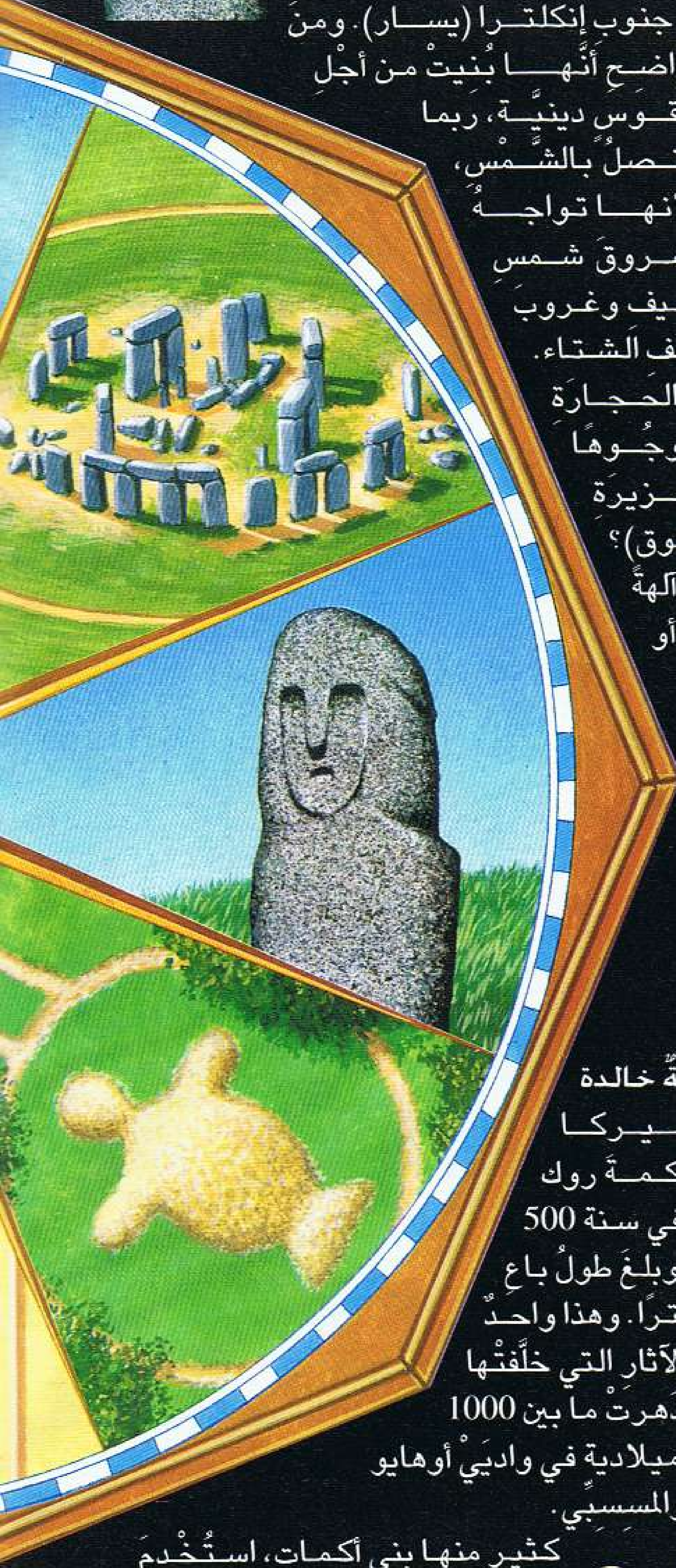
هل كانت المُدنُ القديمةُ مثلَ المدنِ الحديثة؟

في مدينة شاتال هويوك (في تركيا اليوم)، إحدى أقدمِ مدنِ العالم، لم يكن هناك طُرُقٌ وكان يُدخلُ إلى البيوت من فُتحَة في سقْفِها! وقد كانَ لهذه المدينة صِلاتٌ تجاريَّةٌ واسعةٌ وكانَتْ غنيَّةً جدًّا. ولعل سكَّانَها كانوا يخْشَوْنَ من أن يُحاولَ الجيرانُ الغيارى مهاجمتَهم.

الحجارة المنتصبة

خلَّفَتْ شُعوبُ أوروبا في العصْرِ البرونزيّ (3500-1000 ق.م) كثيرًا منَ الآثارِ المَصنوعَة من حجارَةٍ منتصبة. بعضُها على شكل صفوفٍ طويلة، وبعضُها الآخرُ على شكلِ دَوائر. وأكثرُ هذه الدوائرِ شُهرَةً الحجارَةُ المنتَصبةُ في جنوبِ إنكلترا (يسار). ومنَ الواضحِ أنَّها بُنيتْ من أجْلِ طقوسٍ دينيَّة، ربما تتصلُ بالشَّمْس، لأنها تواجهُ شروقَ شمس مُنْتَصفِ الصيف وغروبَ شمس مُنْتَصَفِ الشتاء. لكن ماذا عن الحجارَة التي تحمل وجُوهًا بشريَّةً في جزيرَة كورسيكا (فوق)؟ هل كانتْ تمثِّل آلهةً أو أبطالاً أو أعداء؟





نُصُبٌ تذكاريَّةٌ خالدة

بنى سُكَّان أميركا الأصليون أكمةَ روك إيغل ماوْند في سنة 500 ميلاديّة. وبلغَ طولُ باعِ النَّسْر 36 مترًا. وهذا واحدٌ من كثير من الآثار التي خلَّفَتْها حضاراتٌ ازدَهرتْ ما بين 1000 ق.م و 1500 ميلاديةٍ في واديَيْ أوهايو والمسِسِبي.

كثير منها بنى أكمات، استُخْدمَ بعضُها كمدافن، أو بُنِيَتْ قصورٌ في أعلاها. ولا شكَّ في أنّه كان لبعضها استخدامٌ ديني، لكنْ بغيابِ الدَّليلِ المكتوب، لا يَسعُنَا سوى التخمين.



آثارٌ غامضة



يبلغُ طولُ جَزيرة إيسْتر 26 كيلومترًا فقط، ومع ذلك نَحتَ سكَّانُها البُولينيزيُّون ما بين سنة 600 و 1500 نحو 1000 رأس صخريٍّ كبير. هل نُحتتْ هذه الرؤوسُ من أجلِ تكريمِ أسلافِهمُ العظام؟ وقد أدَّت الحربُ الأهليَّةُ والمجاعَةُ إلى توقُّفِ بناء هذه التماثيل.

صُور في الرمل



ازدهَرَ شعْبُ النازكا على طول الشاطىء الجنوبيِّ للبيرو ما بَيْن 200 ق.م و 600 ميلاديَّة. وقد أنشأوا خطوطًا في الصحراء عن طريقِ إزالة الحجارة وكشْفِ الرمْل. يمتدُّ بعضُ هذه الخطوط عدة كيلومترات، وبعضُها يشكِّلُ نقوشًا، فيما يصوِّر بعضُها الآخرُ سعادينَ وعناكبَ وطيورًا كبيرة. فهل رُسمَتْ هذه الخطوط لإرضاءِ الآلهَة؟

حُرّاسُ الموتى

كانت نماذجُ للخدمِ توضَعُ في قبور الملوك والنُّبلاءِ الصينيينَ القدماء، لكن الإمبراطورَ الأول، زنغ (221-210 ق.م)، تفوَّقَ على كلِّ هؤلاء. فقد دُفِنَ في قَبْرِه بجبلِ لي جيشٌ كاملٌ منحوتٌ في الطين. واكتُشِفَ حتى الآن ما يزيدُ على 8000 نموذجٍ بالحجمِ الطبيعي ومعظمُهُم جنودٌ مشاة، ولكن يوجدُ أيضًا بعضُ الجيادِ والعرباتِ والضُّباط. لقد جرَت ثلاث محاولات لقتل زنغ، ولعله أراد أن تكون حياتُهُ الأخرى آمنةً بحراسةِ جنودهِ الخُلَّص.



القوانينُ الحجريّة



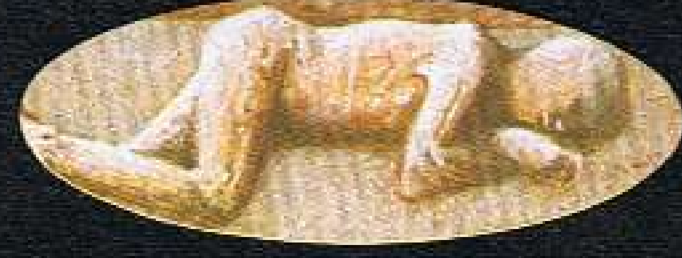
أقامَ آسوكا، إمبراطور الهند (272-231 ق.م)، هذا النُّصُبَ التَّذكاريَّ (يسار) إشارةً إلى المكان الذي أعْطى فيه بوذا دورسَه الأولى. وأشارت الكتاباتُ على كثيرٍ من النُّصُبِ التَّذكاريَّةِ إلى قوانينَ آسوكا التي تَحُضُّ على السَّلامِ والسعادةِ في بلاده.

أول سدٍّ مصريّ



كشفَتِ الحفريَّاتُ الحديثةُ في مصرَ أنَّ المصريينَ كانُوا يبْنون سدًّا، نحو سنة 2600 ق.م، لحمايةِ القرى من الفيضانات التي تندفعُ في وادٍ ضيِّق. لكنَّ فيضانًا دمَّرَ السدَّ قبل أنْ يكتَمِلَ بناؤه.

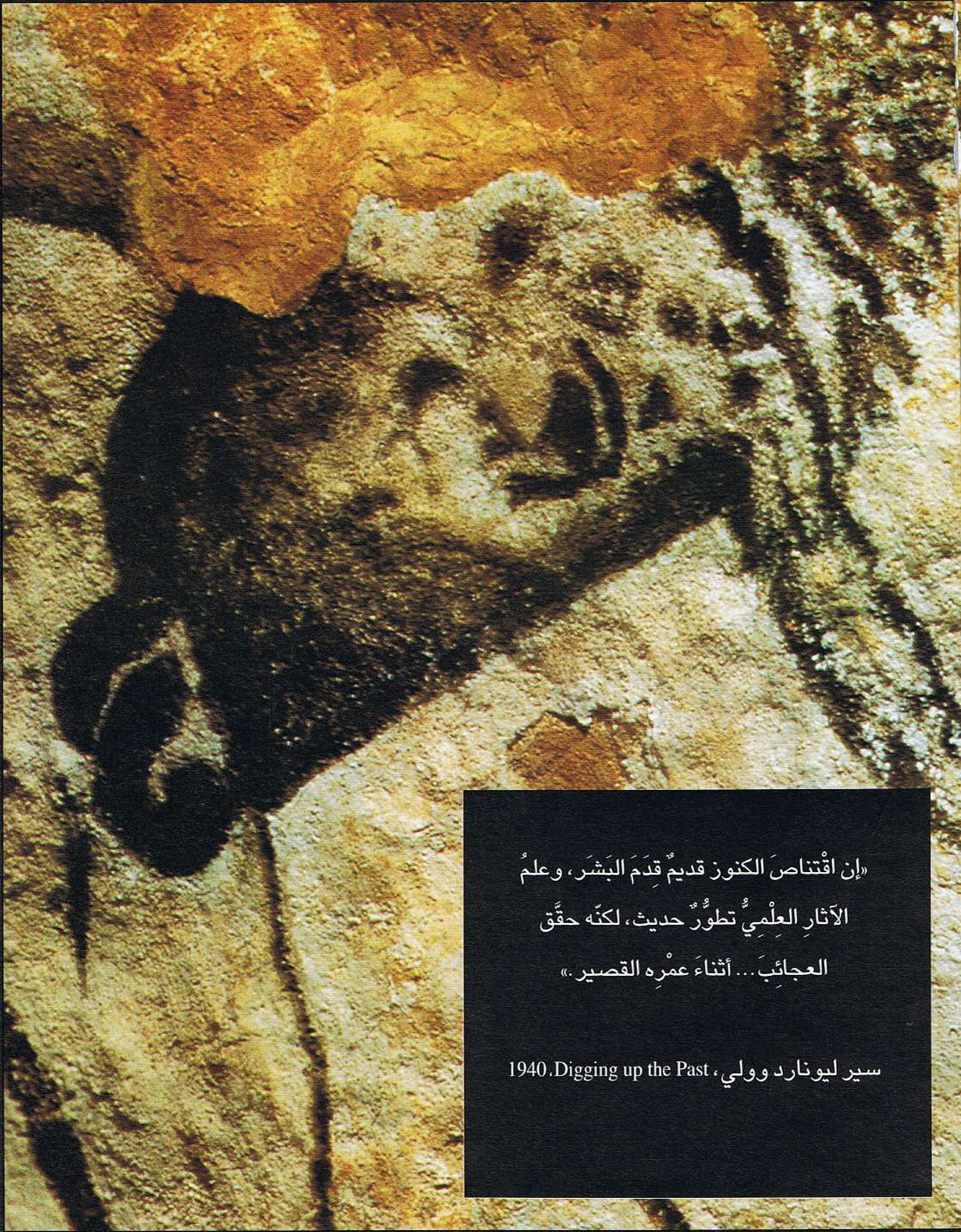
أفكار وتحقيقات جديدة



يقودُ علماءُ الآثارِ مَعْرَكَةَ الكَشْفِ عَنِ كُنوزِ الماضي المَفْقُودَة. ولا تزالُ حَفرِيَّاتُهم تكْشِفُ النِّقابَ عن مَبانٍ ونُصوصٍ ومُدُنٍ، بل وحضاراتٍ دفينةٍ أيضًا.

بعد ذلك يقومُ المؤرِّخون وعلماءُ اللُّغَةِ بتحليل ما تمّ الكشفُ عنه. فخلافًا لعلماءِ الآثارِ في الماضي، يستطيعُ الباحثونَ اليومَ الاستِعانَةَ بالعلماءِ المُخْتصِّينَ وآخِرِ التقنيَّاتِ الحديثة.

لقد أصْبَحَ علمُ الآثارِ اليومَ أكْثَرَ شُهْرَةٍ من أيّ وقت مضى. فقد جَعلَتْهُ الكتبُ والبرامجُ التلفِزْيونِيَّةُ مثيرًا، وأتاح السَّفَرُ جوًّا أمامَ آلافِ الأشخاصِ فرصة زيارَةِ عجائبِ الدُّنيا. إن ذلك عظيمٌ فيما يتعلَّقُ بالسِّياحة، لكنَّهُ يمكنُ أن يُسبِّبَ مشاكلَ للآثار. فكثْرةُ الناسِ الذين يمشونَ في المواقعِ الأثرِيَّةِ يمكنُ أن تتسبَّبَ بإتْلافِ الأشياءِ التي جاؤوا لمشاهَدَتها! لقد أُغْلِقَتْ كهوفُ لاسكو، بفرنسا، منذ سنة 1963. فعندما كانَتْ مفتوحةً أمام الزوَّار، دخلَتِ الطَّحالبُ إليها وانْتَشرتْ بسُرْعَةٍ وأخذت تُتْلِفُ المصوَّراتِ التي يبلغ عمرُها 17000 سنة (يسار).



«إن اقْتناصَ الكنوز قديمٌ قِدَمَ البَشَر، وعلمُ
الآثارِ العِلْمِيُّ تطوُّرٌ حديث، لكنّه حقَّق
العجائِبَ... أثناءَ عمْرِه القصير.»

سير ليونارد وولي، Digging up the Past ,1940

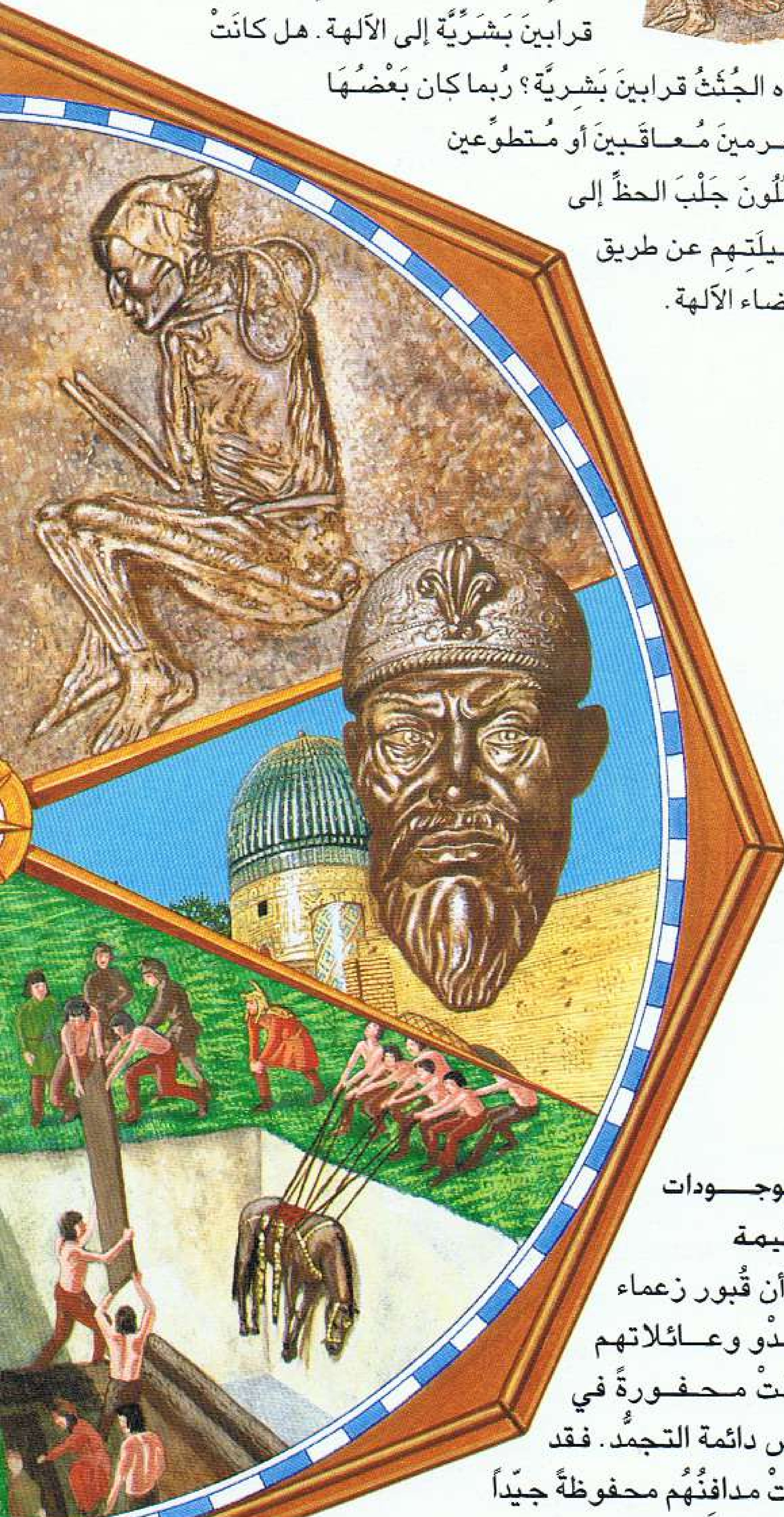
وجـــــــوه من المـــاضـــي

يحلُمُ المؤرخون بروْعَةِ اللقاءِ بأشخاصٍ من الماضي، ويكاد حُلْمهُم يتحقَّقُ في أحيانٍ قليلةٍ جدًا. فقد حنَّطَ المِصْريونَ القُدَماءُ مَوْتاهم، لذا تتملَّكُنَا النَّشْوَةُ عندَ النَّظرِ إلى وُجوهِ بعض الفراعِنَةِ وأتباعِهِمْ. كما حَفِظَتْ لنا الطَّبيعةُ في بَعْضِ الأحْيانِ أجسامًا ووُجوهًا قديمةً في حالةٍ مُمْتازة. ويستطيعُ عُلماءُ الآثار أيضًا اللُّجوءَ إلى أسلوبِ الشُّرْطَةِ الحديث بإعادةِ بناءِ الوَجْهِ فوقَ عِظامِ الجُمْجُمة. ويَسْتَخْدِمُ الخُبراءُ الطينَ لبناءِ العَضَلاتِ والأنْسِجةِ وسماتٍ، مِثْلَ الأنفِ والفَمِ، حتى يتبدَّى لهم وجْهٌ من الوجوهِ القديمةِ مِنْ جديد.



مَدفونةٌ في مستنقَع

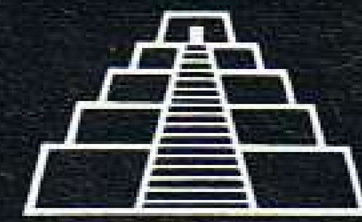
لقد حَفِظَتْ مسْتَنْقَعاتُ شمالِ أورُوبا كثيرًا من الجُثَثِ التي قُتِلَ أصْحابُهَا وأُلْقِيَ بِهِم في الوَحَل. نحنُ نَعرِف أنَّ شَعْبَ العَصْرِ الحديديِّ كان يُقَدِّمُ قرابينَ بَشَرِيَّةً إلى الآلهة. هل كانَتْ هذه الجُثَثُ قرابينَ بَشريَّةً؟ رُبما كان بَعْضُهَا لمجرمينَ مُعاقَبينَ أو مُتطوِّعين يأمُلُونَ جَلْبَ الحظِّ إلى قبيلَتِهِم عن طريق إرضاءِ الآلهة.



مـوجـودات عظيمة

بما أن قُبور زعماء البدْو وعائلاتهم كانتْ محفورةً في أرض دائمة التجمُّد. فقد بقيتْ مدافِنُهُم محفوظةً جيّداً في جبال ألتايي بكازخستان. وهكذا حُفظَتْ أشْياء خَشَبيَّة وأقمشة وجلود وأضاحٍ من الجياد وأجسادٌ مَوشومةٌ منذ زمن 400 – 200 ق.م.





ما الذي يُخبرُنا به الطِّبُّ الحديث عَن الشعوبِ الماضية؟

يمكنُ أن تُساعدَ المعْرفَةُ الطبِّيَّةُ المُؤرِّخين. إن مُعظمَ تماثيل الإسْكَنْدَرِ الكبير تُظْهِرُ رأسَهُ مرفوعًا ومائلاً إلى جنب. فاعْتَقَدَ الناسُ أنَّ ذلك دليلٌ على غروره. وقد رأى طبيبان مؤخَّرًا أنَّه ربُما كان مُصابًا بمرض نادرٍ يُصيبُ العَيْنينِ ويُدعى مُتلازِمَةَ براون. ولا يستطيعُ المصابونَ به الرُّؤيَةَ بوضوحٍ إلا إذا رفَعُوا رأسَهُم بالطريقةِ التي تُظهِرُها التماثيل.

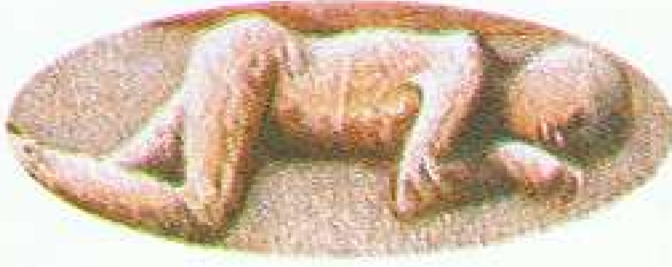
وجه فيليب



في سنة 1977، عَثَرَ عُلَماءُ الآثارِ على ما اعْتَقَدُوا أَنَّهُ قَبْرُ المَلِكِ المَقْدُونِيِّ فيليب الثاني، لكنْ لم يكنْ لديْهِمْ دليلٌ على ذلك. وقد قامَ أَحَدُ الخبراء ببناءِ وَجْهٍ مِنَ الطين على الجُمْجُمَةِ المُكْتَشَفَةِ في القَبْرِ. فتبيَّنَ أنه يَعودُ إلى رَجُلٍ عمره بين 40-50 سنة وتوجَدُ نَدْبَةٌ فوق عَيْنِهِ اليُمْنى. ونحنُ نَعْلَمُ أنَّ فيليب جُرِحَ (وربما عُمِيَ) بِسَهْمٍ أصابَهُ في عَيْنِهِ - لذا لا بُدَّ أن يكونَ القَبْرُ عائدًا إليه.

ضحايا بُركان فيزوف

في سنة 79، ثار بُرْكانُ فيزوف بإيطاليا ودُفِنَت مَدينةُ بومباي تحت الرَّماد والصُّهارَةِ البُركانيَّة. وقد هَرَبَ معظمُ سكّانها، لكنّ الذينَ بَقُوا (نحو 2000) ماتوا اخْتناقًا بالدُّخان. فتحلَّلتْ جُثَثُهُم، لكنّ الرَّمادَ تَصلَّبَ حَوْلَها وحَفظَ تجاويفَ أجْسامها. وبتَعْبِئةِ التَّجاويف بالجبْس، يَستطيعُ علماءُ الآثار صُنْعَ صُورَةٍ مُطابقة للأجسام القديمة.



نظرَةٌ من الماضي

عاشَتْ في مِصْرَ القديمَة وكانَ عُمْرُها نحو 14 عامًا عندمَا تُوُفِّيَت. وقد تحوَّلَتْ مُومياؤُها إلى عظام. كانت تُعاني منْ علَّة في أنْفِها، كما فَقَدَتْ ساقَيْهَا، لكنَّنا لا نَعْلَمُ إنَ حَدَثَ ذَلك قبل وفاتها أو بَعْدَها. وقد أُعيدَ بناءُ وجْهِ هذه الفتاة الغامضَة على جُمْجُمتِهَا وأجْرِيَ لها تجْميلٌ أيضًا.



وجه ملك



أسَّسَ تَيْمُورلَنْك (1336-1405) إمبراطوريَّةً في الشرق الأوْسَط وآسيا الوُسْطى. وعنْدَمَا فَتَحَ المؤرِّخون قَبْرَه، طلبوا من بَعْضِ الخُبراء بِناءَ وجْه على الجُمْجُمَةِ التي عَثَروا علَيْها. وقد ظَهرَتْ بوُضوحٍ الشخصيَّةُ القويَّةُ لهذا القائدِ العَسْكَرِيّ الذي لا يَعْرِفُ الرَّحْمَة (أعلاه).

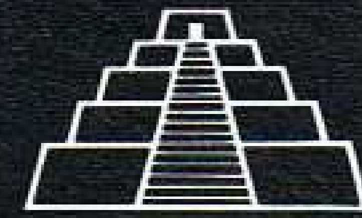
رجُلُ الثلج



في أحد أيامِ فصلِ الخريفِ، قبلَ نحو 5000 عام، كان أحَدُ الرِّجال يسيرُ عبر جبالِ الألْب عندما عَلِقَ وَسْطَ عاصفَة ثلجيَّة. فتمدَّدَ لينامَ، ولم يستفِقْ بعد ذلك أبدًا. وقد عُثِرَ على جثَّتِهِ المحفُوظَةِ في الجليد سنة 1991. واليوم نسْتَمِدُّ مَعلوماتٍ قيِّمة عَنِ الحياةِ في عَصْرِه ممَّا كانَ يَحْمِلُه. لكن لِمَ كانَ وحدَه؟ تُرى هل كان تاجرًا أو راعيًا أو كاهنًا؟ أم هَلْ غادَرَ قرْيَتَهُ على عَجَلٍ؟

طرائق المستقبل

طَرَأتْ تطوُّراتٌ سريعةٌ على العلومِ والتكنولوجْيا والطبِّ في السَّنَواتِ القليلةِ الماضية، فقدَّم ذلك للباحثين وعلماءِ الآثارِ عَوْنًا عظيمًا. فهناك تقنياتٌ جديدة تساعِدُهُم في العُثورِ على الأشْياءِ وتأْريخِ ما يُعْثَرُ عليه. ويستطيعون إعادة إنشاءِ مَشْهَدٍ طبيعي بتفحُّصِ وتحليلِ حُبوبِ الطَّلْع والعُضْويَّاتِ الدقيقةِ في مَوْقِعٍ ما. وتسْتَطيعُ التِّقْنِيَّاتُ الطبيَّةُ اليومَ كشْفَ المزيدِ عن الأجْسامِ القديمةِ وتحليلَ الدم والدنا (DNA). ويسْتَطيعُ العِلْمُ حِفْظَ الأشْياءِ بصورةٍ أفْضَلَ من أيِّ وقتٍ مضى واكتِشافَ الأشياءِ المزوَّرَة.



هل يزوِّر الناسُ المكتشفات القديمة؟

اشتُهرتْ جُمجمة إنسان «بِلْتداون»، التي عُثِرَ عليها سنة 1912، باعتبارها «حلقة مفقودة» في التطور. لكن أُثْبِتَ سنة 1953 إنَّها مزيَّفة. فقد عُثِر على جذْعٍ قديم يعود إلى قِيَم على متحف التاريخ الطبيعي، بلندن، في ذلك الوقت. وكان ملطَّخاً بالموادِّ الكيميائيَّة نفسها التي استخدمها المزوِّر.

مفْخرة الأسطول



غَرِقت السفينة ماري روز قرب بلايموث بإنكلترا في سنة 1545. وقد استقرَّت على جانبها في قعْرِ البحر حيث حَفظ الغرين نصفها. وعندما انتشلت سنة 1982، قدَّمَت الكثير عن حياة تيودور وبناء السُّفُن.

علم الآثار الجوّيّ



من السهل العثور على بناء خَرِب أو أكَمة كبيرة، سواءٌ كانَتْ قبرًا أو بقَايا مدينةٍ مَفْقُودة. غير أنَّه من الصَّعْب جدًا العثورُ على مَوْقعٍ تَسطَّحَ ودَرَسَتْ معالمُه على مرِّ الزَّمَن. إن التُّرْبَةَ الموْجودَةَ فوق الجُدُرِ القديمةِ غَيْرُ عميقة، لذا لا تَنْمو النباتاتُ فيها بشَكلٍ جيد. ويؤدّي ذلك إلى ظهور تشكيلات في المحاصيل لا يمكنُنا مشاهَدَتها على الأرْض، لكنَّها تَظْهَرُ في الصُّوَرِ المُلتَقطَة من الجوّ.

إعادَةُ مجدها

تدينُ نفرتاري، ملكةُ مصْر، دِيْنًا مضاعفًا للتكنولوجيا الحديثة! فقد رَفَعَ المهندسون مَعْبَدَها في أبو سمبل فوق مياه بُحيْرَة ناصر. وتمكَّن العُلَماءُ اليومَ من الحفاظ على المصوَّرات الرائعة في قبرها، وكانَتْ قد أتْلَفَتْهَا بلّوْراتُ الملح التي تشكَّلَتْ تَحْتَ الدِّهانِ وأخَذَتْ تدفَعُهُ بعيدًا عن الجُدْران.



ماذا يوجد تحت الأرض؟

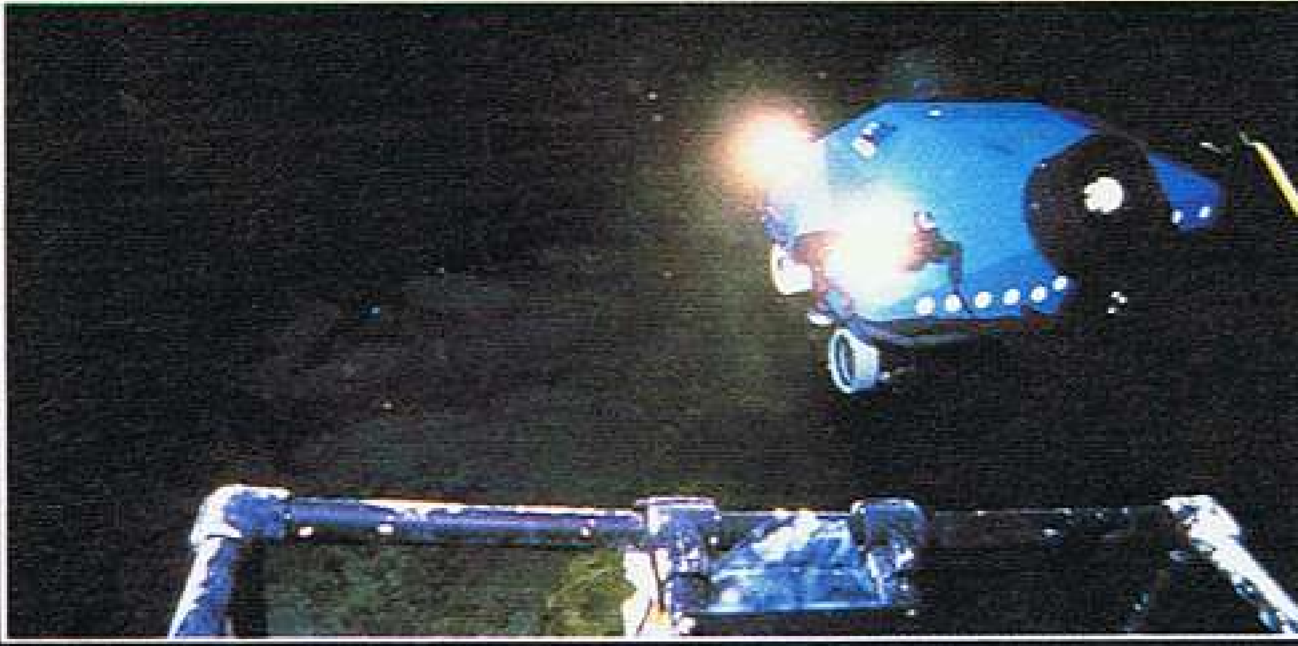


إذا كانَت الأرْضُ ملائمة، يُمكنُ توْفيرُ الوقْتِ والمالِ باسْتخدام مَعدّات خاصة للعثور على تجاويفَ تحتَ الأرض، ما يشيرُ إلى وجود قبور. إذا عُثرَ على قبرٍ، يُحْفَرُ ثَقبٌ وتُولجُ فيه كاميرا. ثم تُؤخَذُ الصورُ ليُعْرفَ إن كان يَسْتَحقُ أن يُفتح.

عائلاتٌ سعيدة



الدنا (DNA) مادَّةٌ في أجْسامنا نَرثُها من آبائنا. وهي تحدِّدُ كيف نَبْدو. ولكلٍّ منا دنا فريد. لذا يقومُ عُلماءُ الشُرْطَة بتحليل الدنا للتعرُّف إلى المُجرمين. ويُمكنُ لمثل هذا التَّحليل أن يُعْلم علماءَ الآثار إن كانَت الجُثثُ لأقرباء. ويجري اليومَ استخدامُهُ على المومْياءات المصريَّة.



سحرُ ما تحت الماء

شَهدَت الحربُ العالميَّةُ الثانيةُ تطويرَ الرِّئة المائيَّة، وهي جهازٌ يَسْمَحُ للغوَّاصينَ بالسباحة واستعْمال أسلحتهمْ بحريَّة. وقادَ ذلك إلى ولادةِ علم الآثار البحريّ. وقد كشَفَ حُطامُ عَشرات السُفُن عن تفاصيلَ عن حمولاتها وأسْرار بنائها. ويمكن أيضاً التنقيبُ عن أبْنيَة أغْرَقَها البحر. وقد عُثرَ مؤخَّرًا على كُتل من منَارة الإسكندريَّة، وتماثيلَ كانَتْ تُزيِّنُ المدينة ذات يوم.

ماذا بعد؟

يَبْقى علينا أن نتعرَّفَ إلى هلينا الطِّرواديَّة. كما يَبْقى روبن هود مُخْتفيًا في الغابَة. وهناك شعوبٌ وكُنوزٌ ومُدنٌ وحضاراتٌ مفقودةٌ تنْتظر مَنْ يعْثُرُ عليْها، وتتوفَّرُ الأدواتُ الحديثةُ لتحقيقِ هذه الغاية. وما الماضي، بالنسبةِ إلى علماء الآثار، إلا مُسْتَقبلٌ مثير. ويُمكنُكَ أنت أيضًا أن تَسْتَمْتعَ به.

تاريخٌ افتراضيّ



هَلْ سبق لك أن نَظرْت إلى آثار وتساءَلْت عَنْ شكل البناء الأصليّ؟ يُمكنُكَ الآن اكتشافُ ذلك بفَضْل الحاسوب. يُمكنُ استخْدامُ مخطَّطات أثرٍ ما لإنتاج تشكيل ثلاثيّ الأبعاد. ويُمكنك أن تشاهدَ البناءَ كما عرفَهُ شاغلوه الأصْليون.

التسلسل



نحو 15000 ق.م. رسم مصوَّرات كهوف لاسكو
نحو 30-3100 ق.م. ازدهار مصر
نحو 1450-3000 ق.م. الحضارة المينوسيّة
نحو 1500-2950 ق.م. بناء دائرة الأعمدة الحجرية على ثلاث مراحل
نحو 2600 ق.م. بدء بناء أوّل سدّ مصري
نحو 1500-2500 ق.م. بلوغ الحضارة الخراسانيّة ذروتها
نحو 2000 ق.م. الحيثّيون يصلون إلى الأناضول (تركيا)
نحو 1000-1900 ق.م. ازدهار الحضارة السينيّة
نحو 1450 ق.م. بركان تيرا يدمّر المينوسيين
نحو 1350-1367 ق.م. أخناتون يحكم مصر
نحو 1190 ق.م. الشعوب البحرية تهزم الحيثيين
نحو 1000 ق.م. - 1500 ميلادية ازدهار حضارات سكان أميركا الأصليين في وادي أوهايو والمسسبي
نحو 100-800 ق.م. الحضارة الإغريقية
نحو 753 ق.م. - 476 ميلادية الحضارة الرومانية
نحو 612 ق.م. إعادة بناء مدينة بابل
نحو 550 ق.م. - 350 ميلادية بلوغ ميرو ذروتها
نحو 432 ق.م. بناء تمثال زوس على جبل الأولمب
القرن الخامس ق.م. - القرن الثالث ميلادي بترا مدينة مهمة
نحو 280 ق.م. بناء منارة الإسكندرية
نحو 231-272 ق.م. الإمبراطور آسوكا يحكم الهند
نحو 210-221 ق.م. زنغ يحكم الصين
نحو 200 ق.م. - 600 ميلادية إنشاء خطوط النازكا
نحو 83 ق.م. تلف نبوءات العرّافات
30-51 ق.م. كليوباترا الثانية تحكم مصر
62-60 الملكة بوديكا تقود الثورة البريطانية ضد الرومان
66 و 132 الثورتان اليهوديتان ضد حكم الرومان
79 دمار بلدة بومباي نتيجة ثوران بركان فيزوف











الـزمـنـي

نحـو 270-279 دمـار بقـايا
مكتـبـة الإسـكـنـدرية
462 دمـار تمثـال زوس
476 انهـيار الإمـبـراطورية الرومـانيـة
نحـو 500 أكمـة روك أيغل ماونْد، بأميركا؛
الملك آرثر بإنكلتـرا على ما يُعـتـقـد
نحـو 600-1500 إقـامـة تماثيل جـزيرة إيسـتـر
القرن الثـامن الخـمـير يبنون أنكوروات وإنكورتوم
1336-1405 حـيـاة تيـمـورلـنـك
1375 دمـار منـارة الإسـكـنـدرية
1521-1522 الإسـبـان يدمّـرون تنُوكـتـتْـلان



1545 غـرق سـفـينة مـاري روز قـرب الشـاطـىء الإنكليـزي
1748 الحـفـريات الحاليـة في بومـبـاي
وبلدة هيـركـولانيـوم المجـاورة
1843 جـون سـتـيفنز يعـثـر على شـيشن إيتـزا
1870 هنريش شليـمـان يعـثـر على طروادة
1893 آرثر إيفـانز يعـثـر على آثار مـينوسـيّـة
1911 حيرام بنغام يعثر على مَتشو بيتشو
1912 اكـتـشـاف عظام إنسان بلتـداون
(ثبت أنهـا مـزيّـفـة سنة 1953)





1922 هوارد كـارتر يفـتح قـبـر توت عنخ آمـون،
ليـونارد وولي يكشف بالحـفـريات عن أور
1940 طلاّب مدرسـة يعـثرون على مصـوّرات كهـوف لاسكو
1945-48 مورتيـمر ويلر يبدأ الحفريات في وادي الإندوس (السند)
1947 العثور على مخطوطات البحر الميت في كهف بقُمران
1974 اكـتـشـاف قـبـر أول إمـبراطور للصين
1977 اكـتـشـاف قـبـر فـيليب الثـاني المقـدوني
الثـمـانينات فـحص جـثـة نبـيلة صـينيـة
1991 اكتشاف رجل مجـمّـد محفوظ جيدًا في نهر
جليـدي بالجـبـال النمـسـاوية
1992 اكـتـشـاف مـصـوّرات مـينوسـيـة
في قـبـور مـصـرية قـديمة
1995 اكتشاف قبر يضم أكثر من 50 ابنًا من أبناء
رمـسـيس الثـاني في مـصـر
1996 إعـادة فـتح قـبـر الملكة نفرتاري





فهرس

أسرار الحضارات القديمة

ذكرت الأساطير الكثير من الأماكن والشعوب التي لم يعد لها وجود في هذا العالم. فشُغف بها علماء الآثار منذ سنين طويلة.

وجرت كثيرٌ من المحاولات للكشف عن أسرارها الدفينة.

اليوم نستطيع بفضل التكنولوجيا الحديثة أن نتقصّى الإشارات والأدلة ونكشف إن كان لها وجود في العالم الحقيقي.

فضلاً عن وجودها في الكتب والأساطير.

مع ذلك تبقى هناك الكثير من الألغاز التي تنتظر حلاً لها.

أين كانت مناجم الملك سليمان؟ وماذا حلّ بشعوب البحر الغامضة؟

ومن كانت ملكة سبأ؟ يستعرض هذا الكتاب كل هذه الألغاز وغيرها باستخدام العلم الحديث وعلم الآثار بالتقنيات العالية والكتابات القديمة.

وربما يساعدك في حلّها بنفسك.

في هذه السلسلة

- أسرار الكون
- أسرار الأهرامات
- أسرار المحيطات
- أسرار حياة ما قبل التاريخ
- أسرار الحضارات القديمة

أكاديميا